

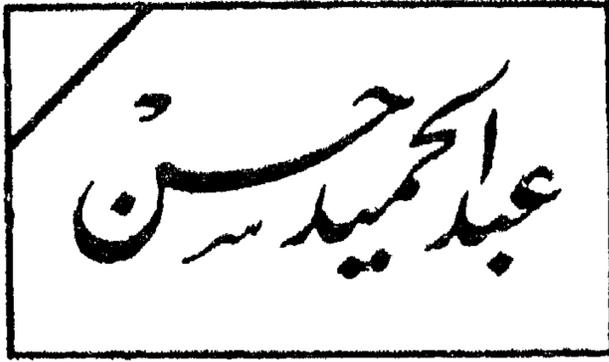


شخصيات مجعية

في الساعة الحادية عشرة من صباح الأربعاء ٢٨ من صفر
سنة ١٣٩٧ هـ الموافق ١٦ من فبراير ١٩٧٧ م أقام المجمع
بداره حفل تأبين المرحوم الأستاذ عبد الحميد حسن أمين
المجمع الراحل .

وفيما يلي ما ألقى في الحفل من كلمات :

كلمة الافتتاح للدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع



في تأبين المرحوم الأستاذ :

من الخصال الفاضلة في فقيدنا الكريم، وأخص هذه الخصال الساحة والعطاء؛ لقد كان رحمه الله سمحاً في قوله وعمله ، سمحاً في لقائه وحديثه ، سمحاً في أخذه وردده ، سمحاً في نقده وملاحظته ، أما عطاؤه فقد كان غزيراً يلبي كل مطلب، ويحقق كل رجاء ، وما قال يوماً قط وأشهد أنه لم يبخل على مجتمعنا بشيء ، أعطى ما استطاع إلى العطاء سبيلاً وقلّ من منح هذا المجمع ما منحه في تلك المدة التي قضاها بيننا . تغمده الله برحمته وجزاه عن أمته ووطنه خير الجزاء . وسيلقى كلمة المجمع فيه الزميل الكريم الدكتور أحمد محمد الحوفى :

نلتقى اليوم لنقضى لحظات مع لغوى قدير وأستاذ جليل هو المرحوم عبد الحميد حسن. وترجع صلتى بالفقيد العزيز إلى نحو نصف قرن أو يزيد ، عرفته لأول مرة أستاذاً بدار العلوم ، ولقيته ثانية بهذه الدار زميلاً كريماً وصديقاً عزيزاً ، وقدر لي أن أستقبله بين عشرة من كرام الخالدين ، ومما قلته فيه أنه كان يضرب خير مثال بتلاميذه في الترتيب الدقيق والعمل المحكم ، والنشاط المتواصل وعشت معه ست عشرة سنة أو يزيد في هذه الدار، وها أنذا أودعه اليوم. وتلك المصاحبة الطويلة كشفت لي عن كثير

●● كلمة الدكتور أحمد الحوفي :

دمعة وفاء

أيها السادة والسيدات :

من مفارقات الحياة والموت أن بعض الذين يموتون في شبابهم يبكاء حاراً ، لأنهم لم يرافقوا الحياة طويلاً ، ولم ينعموا بخيراتها كثيراً ، وأن بعض الذين يختارون في شيخوختهم يبكون أيضاً بكاء مرأ ، لأن أواصرهم بالحياة تشعبت ، ولأن صلاتهم بالأحياء توطدت ، فصار فقدمهم مشعراً بفراغ لا يماؤه غيرهم ، وقاطعاً لصلوات لا يعوضها سواهم .

وهذا هو الشعور الذي ملأ نفوسنا جميعاً بعد موت أستاذنا الكبير المغفور له عبد الحميد حسن .

كنسا حراساً عليه أن نودعه
لا يسأم الناس أهل العلم ما عمروا
هم أنجم الله في الدنيا إذا طلوعوا
وحجة الله في الأخرى إذا نشروا
هم زينة الناس هم نور الوجود هم
روح الحياة ، هم ريحانها العطر

ولنما هذه الأيام مزرعة

الناس غرس لها والعالم الثمر^(١)

فقد قضى عمره المبارك في تربية الآلاف من الطلاب وتعليمهم في معاهد شتى ، فكان ملء قلوب طلابه ، وملء أنظارهم ، وملء أسماعهم ، كان عليماً بما يدرس ، محيطاً بما يتصل بالمادة التي يدرسها من قريب ومن بعيد ، وكان جيد التعبير عما بنفسه ، قريب الأفكار ، واضح الأسلوب . وكان هادئ الصوت ، واسع الصدر ، حلوا المجلس ، لا يعنف على سائل ، ولا يسخر من مناقش ، ولا يهزأ بمعارض ، ولا يتعالى على مستفيد .

وكان مثلاً رفيعاً في دماثة الأخلاق ، وعفة اللسان ، والحياء والوفاء والحلم .
عاش لم يغتب الرجال ولم يجعل
شؤون النفوس قالا وقيل
لست أنساك قابلاً بين درجتي
كك مكباً عليهما مشغولاً

(١) من رثاء محمد عبد المطاب للشيخ سليم شيخ الأزهر . الديوان .

قد تواريت في الحشوع فخالسو

ك ضئبلا وما خلقت ضئبلا^(١)

لهذا لم يسئ في حياته إلى أحد ،
ولم يقدم على فعل قال بعده : ليتنى ما فعلته ،
ولم يترك عملاً قال بعده : ليتنى ما تركته ،
فعاش عمره الطويل وليس له شأن أو خصيم .

وقد كنت في كل المناصب سيداً

تزينك في الدنيا خلالتك أربع

فحزم كما ترضى النهى وتواضع

وعزم كما ترضى العلا ، وترفع

حريص على ود الصديق كأنما

مودته العهد الذي لا يضيع^(٥)

درّس علم النفس فأجاد ، وعلم التربية
النظرية والعملية فأفاد ، وحاضر في الأدب
فأبدع ، ومرن على النقد الأدبي فجدد ،
وألف في كل من هذه المناحي كتاباً أو
كتب بحثاً فأرضى وأعجب .

ولم يكن يبتغى من وراء هذه المؤلفات
والبحوث مجداً أو غنياً ، لأنه نظر إليها على
أنها جزء من واجبه لا مناص من أن ينهض
به في صمت وعلى استحياء .

أيها السادة

لقد أشرفت بالتلمذة على الفقيه في معهد
الدراسات العالی ، الذي أنشأته وزارة المعارف
بضع سنوات .

ثم شرفت بزمالته في كلية دار العلوم ،
وبزمالته هنا في مجمع اللغة العربية ، فاسترعى
نظري حرصه الشديد على المواعيد ، فقد
كان يدخل المدرج في الوقت المحدد
لبداء المحاضرة ، ولا يخرج إلا بعد انتهائه ،
وكان هنا في المجمع يحضر قبيل انعقاد اللجان ،
ولست أتذكر أنه تخلف مرة عن موعد
افتتاح لجنة أو خرج قبل نهاية زمنها المقرر .

أيها السادة : إن من حق الأستاذ الكبير
عبد الحميد حسن على أن أناجيه ببضع
كلمات

أستاذي الكبير :

لقد كنت وما زلت أعتر بإشرافك على
رساتي الماجستير بداية ونهاية ، وأعتر
بإشرافك على رساتي للدكتوراه بداية
ومرحلة بعد البداية ، إذ آثرت أنت أن
تتخلى مراعاة لما تمليه ملابسات التقاعد .
وكان من توفيق الله سبحانه وتعالى لي ،
ومن يمن إشرافك ، أن تكون كل من

(١) من رثاء شوقي لأمين الرافعي ٣ / ١٤٦ .

(٢) من رثاء على البخارم لمحمد أمين لطفى ٣ / ١٤٣ .

موجز حياته :

ولد - رحمه الله - بالقاهرة في ٢٠ من أبريل سنة ١٨٨٩^(١) ، وتعلم بمدارسها وبالأزهر ، ثم التحق بدار العلوم سنة ١٩٠٦ م ، وتخرج فيها سنة ١٩١١ حيث كانت تجرى على نظام السنوات الخمس .

وبعد تخرجه أوفدته وزارة المعارف في بعثة إلى كلية (إكسترا) بإنجلترا ، ف قضى بها ثلاث سنوات ، درس فيها التربية وعلم النفس والأخلاق وتدبير الصحة والأدب الإنجليزي ، وحصل على دبلوم من وزارة المعارف البريطانية .

ثم عاد إلى مصر سنة ١٩١٤ ، فدرس بالمدرسة التوفيقية الثانوية ، إلى ان نقل إلى كلية دار العلوم سنة ١٩٢١ لتدريس التربية والأخلاق واللغة العربية ، ومكث بها إلى سنة ١٩٢٧ حيث نقل مفتشاً للغة العربية .

وفي سنة ١٩٢٩ عين أستاذاً بمدرسة المعلمين العليا لتدريس التربية ، فقام بتدريسها في المعلمين العليا، وفي معهد التربية الذي أنشئ تابعاً لها في ذلك الوقت .

ثم عاد إلى دار العلوم سنة ١٩٣٩ م لتدريس الأدب العربي ، وبقى بها إلى أن بلغ سن التقاعد سنة ١٩٤٩ م وهو وكيل للكلية .

الرسالتين باكورة في حديقة الرسائل الجامعية بكلية دار العلوم، بعد أن ضمت إلى جامعة القاهرة ، ثم تلاحت بعدها الثمرات تبعاً . وأشهد أنني لقيت منك في إشرافك ما يأمله الطالب المجتهد في أستاذه العالم الحذب من رعاية أبوية ، ومن تشجيع رشيد ، وتوجيه سديد ، وحفاوة بالرأي الحر وبالفكر الجديد . ثم شاء حظي السعيد أن نترامل هنا في مجمع اللغة العربية ، وأن نشترك في بعض لجانه ، فكنت تهش لمناقشة أية كلمة ، أو تدليلي على أية فكرة ، حتى إن كان لك رأي آخر .

يا أستاذي الكبير ، لقد وردت الخوض الذي لا بد أن يردده كل حي قصر عمره أو طال ، ولكنك وردته مع الأظهاره ؛ أستاذي الكبير ، لقد رقدت في الثرى كما رقد الناس منذ آدم ، ولكنك رقدت في زمرة الأخيار .

أستاذي الكبير ، لقد ودعت هذه الحياة الدنيا ، لتحيا روحك الطيبة في ملكوت الطيبين والأبرار، فهنئاً لك مانلت من رضوان الله ، وعظيم ثوابه ، وعزاء لأسرتك ولأبنائك الطلاب ولإخوانك وأصدقائك، ولجميع اللغة العربية وللهيئات والجامع العلمية والأدبية التي كانت تستهدى بنورك، وتغتنى بجهودك.

(١) الجمعيون . الدكتور محمد مهدي علام وورقة بخط الأستاذ عبد الحميد نفسه .

وبعد هذا اختير عضواً في مجمع اللغة العربية في أبريل سنة ١٩٦١ م .

وندى في خلال ذلك لتدريس التربية وتدير الصحة بقسم التخصص بالأزهر .

وندى للتدريس بكلية الآداب بجامعة عين شمس منذ إنشائها، فقام بتدريس اللغويات (النحو والصرف) والدراسات الإسلامية ، وما زال يعمل بها إلى قبيل وفاته ، إذ اضطرت حالته الصحية إلى أن يعتذر ابتداء من أكتوبر سنة ١٩٧٦ ، فأرسل إليه عميد الكلية هذه الرسالة .

السيد الأستاذ عبد الحميد حسن

تحية طيبة وبعد

فأرجو التفضل بالإحاطة بأنه قد عرض على مجلس الكلية بجلسته في ٢٦ - ٨ - ١٩٧٦ كتاب سيادتكم الخاص بالاعتذار عن عدم مواصلة التدريس بقسم اللغة العربية وآدابها لحاجتكم إلى الراحة بعد عشرين عاماً من المساهمة المشكورة في النهوض بالدراسات اللغوية بالقسم .

ومجلس الكلية يشارك مجلس قسم اللغة العربية وآدابها أسفه لحرمان طلبة الدراسات العربية من جهودكم العلمية ، ويتمنى لسيادتكم دوام الصحة والعافية .

وتفضلوا بقبول صادق تحياتي .

عميد الكلية

كذلك درس الأستاذ عبد الحميد حسن في معهد الدراسات العربية العالي . وكان إلى هذا عضواً في مجمع البحوث الإسلامية ، ومقرر اللجنة لإحياء التراث الإسلامي بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، وعضواً بلجنة النشر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية منذ إنشائها إلى قبيل رحيله .

وقد رثاه الأستاذ الدكتور محمد مهدي علام في أول جلسة للجنة عقب وفاته فقال : « يحزنني أن أنعى إلى اللجنة الموقرة زميلاً عزيزاً كريماً علينا جميعاً ، هو المرحوم الأستاذ عبد الحميد حسن الذي عاش هذه اللجنة عضواً فيها منذ تأليفها ، ولم يتخلف عن عمله فيها وحضوره بها جلسة واحدة في أكثر من عشرين عاماً ، ولم ينقطع إلا في مرضه الأخير ، فإلى رحمة الله عالم ، وأديب ضليح ، ومرب فاضل ، ومواطن مخلص من أصدق من خدم أمته ولغته » .

انتاجه :

للفقيد مؤلفات في الأدب والتربية وطرق التدريس ، منها :

١ - الأصول الفنية للأدب .

٢ - القواعد النحوية : مادتها وطريقتها .

٣ - صفحات من الأدب المصري من العصر الفاطمي إلى عصر النهضة الحديثة .

وله مؤلفات بالاشتراك ، منها :

١ - نثر حفي ناصف بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور محمد مهدي علام .

وله بحوث دينية قدمها إلى مجمع البحوث
(الإسلامية) هي :

١- التربية الخلقية والاجتماعية في السنة
النبوية .

٢- مكانة بيت المقدس في الإسلام .

٣- روح الإسلام أقوى دعامة لإصلاح
المجتمع ؛

تعريف بكتبه الخاصة

١ - الأصول الفنية للأدب

كتاب مطبوع في ٢٠٣ صفحة الطبعة
الأولى سنة ١٩٤٩ تناول التعريف بالأدب
ومواطن جماله ، والجمال وأثره في الحياة ،
وهل الجمال ذاتي أو موضوعي ، والجمال
الموسيقى ، والجمال اللغوي واللفظ والمعنى ؛
ثم درس العاطفة وحقيقتها ، والوجدان
وأقسامه ، وصلة العاطفة بالأدب ، ودرس
الخيال ، وطريقة عمله ، ومنابعه ، وسموه
وانحطاطه وأقسامه ، ومكانته في الأدب ،
وبعد هذا عرض لعلم البيان ، ثم عرض للمذهب
الواقعي والمذهب المثالي والمذهب الخيالي
والمذهب الاتباعي والمذهب الابتدائي ؛ ثم
عرض للعقل الباطن وللأحلام وللإيحاء في
الفن والأدب ، ولشياطين الشعراء .

ثم تكلم عن الرمزية وصلتها بالعقل والتفكير
وبالشعور الديني ، وعن صلتها بالمجتمع ،
وارتباطها باللغة والأدب ، وعرض للكتابة
والتعريض والتلويح والرمز والإيحاء . ثم
تحدث عن الأسلوب الأدبي والعلمي ، وعن

٢- مختارات من كتب رفاة رافع
الطهطاوي ، - بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور
محمد مهدي علام وآخرين .

وله بحوث قدمها إلى مجمع اللغة العربية
وألقاها في المؤتمرات ، هي :

١- المرونة في اللغة العربية منشؤها وأثرها
في التيسير والتجديد د - ٢٩ ح ٤ - للمؤتمر
البحوث والمحاضرات ١٢٧ :

٢- الترخيص والتوسع في بعض القواعد
النحوية .

د - ٣١ ح ٤ للمؤتمر والبحوث والمحاضرات ٥٩
٣- المركب المزجي .

د - ٣١ ح ٨ للمؤتمر والبحوث والمحاضرات ٢٠٥
٤- المذهب الكوفي في النحو واللغة
وأثره في التطور والتيسير .

د - ٣٢ ح ٤ لمؤتمر بغداد .

٥- كلمة في استقبال الشيخ عطية
الصوالحي .

د - ٣٢ ح ٢٢ للمجلس .

٦- الخصائص الصوتية للحروف الهجائية
د - ٣٢ ح - لمؤتمر القاهرة .

٧- جولة في درة الغواص . مؤتمر ٣٥

٨- كلمة في استقبال الأستاذ شوقي أمين
والدكتور عز الدين عبد الله والدكتور عثمان
أمين دورة ٣٩

الطبع والصنعة في الأسلوب، وعن التقليد في الألفاظ وفي المعاني .

وقد رجع الى عدة مراجع عربية والى تسعة وعشرين مرجعا إنجليزيا .

والحق أن بعض مباحث هذا الكتاب كانت رائدة في مجال الدراسات الأدبية والنقد الأدبي ، وبخاصة ما يتصل بالعاطفة والوجدان والخيال والرمز .

٢ - صفحات من الأدب المصري

من العصر الفاطمي الى النهضة الحديثة.

كتاب مطبوع في ٢٢٣ صفحة الطبعة الأولى سنة ١٩٥٠ تناول الحديث عن الدولة الفاطمية ، وعن التشيع ، وعن حضارة الفاطميين في مصر والحياة الثقافية والعلمية في عصرهم ، ثم تحدث عن الأدب في عهدهم شعرا ونثرا ، وألم بمشهورى الشعراء والكتاب .

ثم تكلم عن الدولة الأيوبية وعن الحياة الثقافية في عصرها ، وعن الأدب شعرا ونثرا وعن مشهورى الشعراء والكتاب :

وبعد هذا انتقل الى عصر المماليك ، وتكلم عن التأليف وعن الشعر والنثر .

ثم عرض للعصر العثماني وللحركة العلمية والتألفية فيه :

وختم الكتاب بعصر النهضة الحديثة ، فتحدث عن عوامل ازدهار الثقافة فيه ، وترجم في شيء من التفصيل للبارودى ولعبد الله فكرى

٢ - القواعد النحوية مادتها وطريقتها

كتاب مطبوع في ٢٨٦ صفحة الطبعة الأولى سنة ١٩٥٢ يشتمل على الموضوعات الآتية :

١ - اللغة ، والقواعد النحوية ومباحثها ، وهى موضوعات تطابقية وموضوعات لغوية أو صرفية ، وموضوعات إعرابية وأدوات عاملة النخ النخ .

٢ - طريقة التدريس ، وتكوين الجمل ، والاختلافات النحوية ، ومنهج مقترح للنحو ، وجمع اللغة وتدوينها النخ .

٣ - نشأة النحو ، وطبقات النحاة ، ووجوه الخلاف بين البصريين والكوفيين ، وبعض مناظرات النحاة ومجالسهم ، والنحو في بغداد ونحاتها في الاندلس ونحاتها ، والنحو في مصر والشام .

٤ - اللغات العربية ومظاهر اختلافها في النحو واللغة .

٥ - القراءات وصلتها بلهجات العرب وبالقواعد النحوية .

٦ - المرونة المعنوية في اللغة العربية متجلية في التضمين والتغليب والتقارض ، والمرونة اللفظية متجلية في التجانس .

٧ - أدلة النحو ، وبعض المؤلفات النحوية الكبيرة ، وهى كتاب سيبويه والمفصل للزمخشري، وكتب ابن الحاجب، وكتب ابن مالك، وكتب ابن هشام، وكتب السيوطى .

٤ - تعريف بكتبه المشتركة

اشترك الأستاذ عبد الحميد حسن في تأليف بعض الكتب ، منها :

١ - نثر حفى ناصف ، كتاب مطبوع في ١٩٤ صفحة سنة ١٩٥٩ بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور محمد مهدي علام . يشتمل هذا الكتاب على تصدير بقلم الأستاذين ، وعلى تعريف بحياة حفى ناصف بقلم ولده الأستاذ مجد الدين ، ثم على خمس وثلاثين رسالة ، وعلى تقريرين ، وعلى اثنتى عشرة مقالة ، وعلى سبع عشرة خطبة ، وعلى ثمانية تقارير ، وعلى عشرين فكاهة .

٢ - مختارات من كتب رفاة رافع الطهطاوى . كتاب مطبوع في ٢٢٨ صفحة سنة ١٩٥٨ بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور محمد مهدي علام وآخرين . يحتوى هذا الكتاب على مقدمة بقلم الأستاذ الدكتور محمد مهدي علام ، ثم على المختارات وبيان بكتب الطهطاوى التى اختيرت منها هذه الفقرات ، وهى كتاب مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية ، وكتاب المرشد الأمين للبنات والبنين ، وكتاب نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز ، وكتاب قلائد المفاخر فى غريب عوائد الأوائل والأواخر ، وكتاب مواقع الأفلاك فى وقائع تليماك . ثم يحتوى على مختارات أخرى من مقالات الطهطاوى وخطبه وشعره .

٥ - تعريف ببعض بحوثه

انه ليسترعى الانتباه أن بحوث الأستاذ عبد الحميد حسن كلها توحى بحرصه الشديد على اللغة العربية الفصحى ، وتؤكد شغفه بتطويرها متنا ونحوا فى نطاق لا يعدوها ولا يعتدى عليها ، ولا يسمح للعامية بان تتسرب إلى حماها . وإليك فكرة عاجلة عن كل بحث :

١ - المرونة فى اللغة العربية

بحث فى تسع صفحات قدمه الى مؤتمر الدورة التاسعة والعشرين للمجمع اللغوى سنة ١٩٦٢ - ١٩٦٣ عرض فيه مرونة اللغة العربية من الوجهة اللفظية منذ العصر الجاهلى ، مستدلا بما فيها من ادغام واعلال وابدال وامالة وامتزاج الحروف المتماثلة أو المتقاربة ، وبما فيها من نحت وتقريب بين الحركات . كما عرض مرونتها المعنوية متجلية فى التضمين والقلب ونيابة حروف الجر بعضها عن بعض ومتجلية فى المحاز والاستعارة وغيرهما .

ثم بين أن هذه المرونة اتسعت حينما تفاعلت لهجات القبائل العربية وتمازجت :

وتحدث عن مرونة اللغة العربية بعد الإسلام ، وبين أن القرآن الكريم زاد اللغة العربية طواعية وسعة وثناء ، ثم بين حالة المرونة فى مرحلة التعليل والقياس والاستنباط والتسجيل ، وتحدث عن انقسام الباحثين الى بصريين يتشددون فى القياس وكوفيين

يكتفون بالشاهد الواحد ، ويستنبطون منه القاعدة ، ويقيسون عليهما . وتكلم عن ظهور المذهب البغدادي وترجيحه مذهب البصريين تارة ومذهب الكوفيين تارة ، وبهذا صارت المذاهب ثلاثة ، ثم ظهر المذهب الرابع بالأندلس . وانتقل من هذا العرض إلى إمكان انتفاعنا بهذه المذاهب في تيسير اللغة وتجديدها ، وقال إن باب القياس مازال مفتوحاً ، وإن طريق الاجتهاد لما يوصد .

ثم مثل لبعض الآراء التي تيسر علينا التجديد ، مثل :

١- قول أبي حيان : كل ما كان لغة لقبيلة صح القياس عليه ؛

٢- قول ابن جنى : الناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب ، وبعد هذا وضح أن الشهاب الخفاجي في شرحه درة الغواص للحريري صحح كثيراً مما خطأه الحريري ، وأن الأستاذ الشيخ محمد علي النجار عضو مجمع اللغة العربية رد على كثير مما خطأه الكسائي في كتابه (ما تلحن فيه العامة) ، وعلى كثير مما خطأه ابن السكيت في كتابه (إصلاح المنطق) ، ثم اقترح على المجمع أن ينظر في عدة مسائل ، مثل :

(١) جمع فعل بفتح الفاء وسكون العين على أفعال ، فقد وردت منه أمثلة كثيرة تجب أن يكون قياسياً .

(٢) صيغ الزوائد مثل : انشعل وافتعل وتفعل وفاعل وتفاعل ، لأن كتب الصرف تذكر أن لكل منها معاني متعددة ، وتذكر ما يجيء منها للمطاوعة والمشاركة ومعنى هذا أنهم وضعوا ضوابط جزئية تتحكم في الكلمات المتنوعة ، ثم قالوا إن زيادات الأفعال طريقها السماع ، ولعلنا إذا قسنا هذه الصيغ بالمعيار العام للغة نجد سنداً يجيز لنا التوسع في معاني هذه الصيغ .

(٣) التوسع في استعمال كلمة (بينما) فنجز مثل هذا التعبير : لا نقف جامدين بينما العالم يسير السخ

وأسمى البحث بان لغتنا العربية في حاجة إلى توسع يضيف إليها ما ليس في معاجمتنا القديمة وفي حاجة إلى نظرة جديدة في قواعد الاشتقاق وفي أصول القياس .

(٤) الترخيص والتوسع في بعض القواعد النحوية بحث في عشر صفحات قدمه إلى المجمع في مؤتمر الدورة الحادية والثلاثين ١٩٦٤ - ١٩٦٥

تتبع في هذا البحث ثلاث مسائل نحوية ، بين اختلاف النحاة القدماء فيها ، واستنبط من خلافهم ترخيصاً وتوسعاً ، وقدم للبحث بجملة لا يقولها إلا عالم متواضع مقدر للعلم هي : « إني أعرضها للبحث والنقد ، فإن حازت قبولا فقد تفتحت بذلك سبل الهداية ، وإن وجه إليها النقد فقد أفدت من ذلك إرشاداً وتوجيهاً » .

١ - أما المسألة الأولى فهي أفعال التفضيل المقرون بأل ، فقد قال النحاة إنه يمتنع أن يجيء معه من الجارة للمفضل عليه .

ورأى الأستاذ عبد الحميد حسن أن اجتماع ال مع من الجارة للمفضل عليه ليس لغواً كما قال النحاة ، بل إن اجتماعها تقوية وتوكيد ، وضرب مثلاً على هذا أننا إذا وصفنا طالبا بالبراعة ثم وصفنا بأنه أبرع من الأول ، ثم قلنا إن الثالث أبرع من الاثنين ، ثم أردنا أن نفضل طالباً رابعاً على الثلاثة ، ونجمع بين أسلوب التفضيل وأسلوب القصر فإننا نقول : إن هذا الطالب الرابع هو الأفضل من الجميع ، أي من هؤلاء الطلبة الثلاثة ، لأنه هو أفضل الجميع وكفى ، واستدل بيت الأعرشى :

ولست بالأكثر منهم حصي
وإنما العزة للكائـر
وقال إن النحاة لم يجدوه مطابقاً لقواعدهم لجأوا إلى التأويل ، فخرجوا عما أراده الشاعر .

٢ - وأما المسألة الثانية فهي ما لا تلحقه التاء في المؤنث

٣ - وأما المسألة الثالثة فهي الثلاثي الساكن العين المفتوح الفاء ، حين يجمع جمع مؤنث سالماً ، مثل سجدة وسجدات .

٢ - المركب المزجي

بحث مقدم إلى المجمع اللغوي في صفحتين ، في الدورة الحادية والثلاثين سنة ١٩٦٤ - ١٩٦٥

عرض لتعريف النحاة والصرفيين ، ورأيهم في إعرابه وبنائه .

وقال إنهم لم يعرضوا له من جهة صوغه ، ولم يحاولوا إخضاعه لقاعدة شاملة . ثم بنى على هذا أننا نستطيع أن نحذو حذواً - للغويين في المركب المزجي ، فنجعل المزج بين كلمتين أو أكثر قاعدة تحذو حذوها في أسماء البلاد والعقابر الطبية ، ومصطلحات الطبيعة والكيمياء ، فنقول مثلاً : ما ورد ، ما زهر ، سنامكى .

٣ - الخصائص الصوتية للحروف الهجائية وأثرها في رنين الكلمات

بحث في عشر صفحات مقدم للمجمع في دورته الثانية والثلاثين ١٩٦٥ - ١٩٦٦ .

عرض للخصائص الصوتية التي للحروف الهجائية من ثلاث نواح :

الأولى رنين الكلمات وجرسها ، والثانية أبنيتها ، والثالثة معانيها :

١ - أما رنين الكلمات فقد رجعه إلى عاملين : هما مخارج الحروف وصفاتها ، وقال إن علماء التجويد قد عنوا قديماً بمخارج الحروف ، وكذلك فعل علماء الأصوات حديثاً ، وذهب إلى أن صفات الحروف متنوعة تنوعاً موسيقياً ، ومن هذه الصفات خمس قوية تقابل كلا منها صفة ضعيفة : وانتهى إلى أن صفات الحروف المكونة - للكلمة هي المصدر لرنينها العام ولسهولة النطق بها ووعورته ، ولهذا أهمل العرب قديماً كلمات استثقلوها . على أن بعض القبائل شذت فكانت العننة والكشكشة ونحوهما .

ثم قال إن القرآن الكريم هذب اللغة
وصفاها من الكلمات الخشنة :

٢ - وأما أبنية الكلمات فإن أثر الخصائص
العربية يتجلى فيها إذا ما عرفنا أن لبناء الكلمة
أربعة عناصر ، هي عدد حروفها ، وشكل
كل حرف ، وإحلاله في محله ، وأصل زيادته .

٣ - وأما أثر هذه الخصائص في معاني
الكلمات فقد استأنس فيه برأى ابن جنى
وابن فارس :

٤ - النسب إلى فعيلة وإلى فعيلة

بحث في ثلاث صفحات قدم إلى المجمع
اللغوى في دورته الخامسة والثلاثين ١٩٦٨ -
١٩٦٩ ذكر القاعدة النحوية التي توجب
حذف الباء في النسب إلى فعيلة وفعيلة تخففنا
من الثقل ، ولاحظ أن هذا الثقل يوجد في
النسب إلى فعيلة لا إلى فعيلة ، وقال إنهم لم
يلاحظوا هذا الثقل في النسب إلى فعيل ، مع
أنه لا فرق بين فعيل وفعيلة .

ثم اقترح النسب إلى كلمتي فعيل وفعيلة
من غير تعبير إلا بحذف التاء الأخيرة .

٥ - جولة في كتب (درة الفواص في أوهام
الخواص) للحريرى

بحث في تسع صفحات ، قدمه إلى المجمع
اللغوى في دورته الخامسة والثلاثين ١٩٦٨ -
١٩٦٩ بين في هذا البحث أن الحريرى عرض
في كتابه مئتين واثنين وعشرين مسألة ،
ذكر ما بها من خطأ ، وبين الصواب ، وبين
الأستاذ عبد الحميد حسن أن الشهاب الحفاجى
شرح هذا الكتاب ، وصوب كثيراً مما خطأه

الحريرى ، وأن السيد محمود شهاب الدين
الألوسى شرح كتاب الدرّة ، وعلق على
كثير من مسائله .

ثم ذكر الأستاذ عبد الحميد حسن أن
الحريرى لم ينفرد بهذا العمل ، فقد سبق إليه
وجاء من بعده من صنعوا مثل صنيعه منذ
القرن الثانى الهجرى إلى العصر الحديث وذكر
منهم الكسائى مؤلف (ما تلحن فيه العلوم)
وابن السكيت مؤلف (إصلاح المنطق)
وأبا حاتم السجستانى مؤلف (ما تلحق فيه
العامّة) وأبا بكر الزبيدى الأندلسى مؤلف
(ما تلحن فيه العامّة) وإبراهيم اليازجى
مؤلف (لغة الجرائد) والشيخ محمد على
النجار مؤلف (الأخطاء اللغوية الشائعة)
و (لغويات) .

ثم ذكر أن منابع هذه التخطئة
أو التصويب ترجع إلى الناحية اللغوية، وإلى
ما دونه علماء اللغة في معاجمهم، وترجع إلى
الناحية النحوية، وإلى ما سجله النحاة في كتبهم.

وعقب على هذا بأنه لا يصح الأخذ بما
ورد في المعاجم وحدها ، لأن هناك مراجع
ذات قيمة في التحقيق اللغوى هي كتب
الآداب والتاريخ الأدبى والسياسى وما فيها
من شعر ونثر ، على أنه لا مانع من أن نصوب
ما يساعدنا القياس والمرونة الاشتقاقية على
تصويبه ، وبعد هذا تحدث عن الناحية
النحوية ، وعن التضارب والتشعب في
كتب النحو ، واقترح رسم خطة موحدة
لآراء النحاة واللغويين ، ثم انتقل إلى عرض
أربع مسائل من كتاب أوهام الخواص .

أما المسألة الأولى فهي تخطيطية الحريري لقولهم : اجتمع فلان مع فلان ، وتصويبه بأن يقال : اجتمع فلان وفلان ، ثم ناقش الأستاذ عبد الحميد حسن الحريري مخالفاته ، ومؤيداً لمخالفاته بما نقله عن الشهاب الحفاجي .

وأما المسألة الثانية فهي تخطيطية الحريري لقولهم : قدم الحجاج واحد واحداً واثنين اثنين وثلاثة ثلاثة إلخ وتصويبه أن يقال قدموا آحاد آحاد وثناء وثلاث ورباع إلخ وخالف الحريري ، وأيد مخالفته إياه بما نقله عن الشيخ محمد علي النجار .

وأما المسألة الثالثة فهي قول الحريري : يقولون في جمع بيضاء وسوداء وخضراء بيضاوات وسوداوات وخضراوات ، وهو لحن فاحش ، والصواب جمعه على وزن فعل ، وعقب الأستاذ عبد الحميد حسن على هذا بذكر رأى النحاة ، وانتهى إلى صحة ما خطأه الحريري . وأما المسألة الرابعة فهي تخطيطية الحريري لقولهم : هب أنى فعلت كذا ، وتصويبه أن يقال : هبني فعلت ، وقد ناقشه الأستاذ عبد الحميد حسن ، وانتهى إلى صواب ما خطأه الحريري :

٧ - الإسلام أقوى دعامة لإصلاح المجتمع الحديث : بحث مطبوع في إحدى عشرة صفحة بدورية مجمع البحوث الإسلامية^(١) ، ألقاه في دورة المؤتمر الثالث . قدم له بمقدمة بين فيها أمل المسلمين في استعادة مجدهم ، ووجههم إلى الاسترشاد بتعاليم الإسلام لتحقيق

غرضهم ، لأنه دين الفطرة المتجهة إلى الخير ، المعتمدة على الفكر السليم وعلى المبادئ السمحة ثم بين أن في كل إنسان عنصرين : أحدهما روحى والآخر مادي . وتحدث عن العنصر الروحى ومظاهره الثلاثة وهي الفكر وغايته معرفة الحق ، والإرادة وغايتها الوصول إلى الخير ، والوجدان وغايته العواطف النبيلة وجمال النفس .

ولكل من هذه الأهداف الثلاثة شأن كبير في الإسلام .

أما الفكر فقد حث القرآن الكريم على تنمية بالنظر في آيات الله تعالى في الكون وفي النفس ، وأما الإرادة فقد وجهها الإسلام إلى الخير في جميع صورته وأوضاعه ، كالإحسان والبر والتعاون والصدقة ، وأما الوجدان وما يتفرع منه من عواطف فقد عواطف فقد قوى الإسلام رباطها ، وأحكم صلاتها بين الإنسان ووالديه وذوى قرباه وجاره البعيد والصاحب بالجنب ، وجعل المودة أساساً للترابط في الأسرة وبين جميع الناس .

ثم تحدث عن العنصر الجسمي ، وهو العنصر المادي الذي خلقه الله من الأرض ، وقال إن الإسلام وضع للجسم نظاماً يكفل صحته .

وبعد هذا عرض لرسالة الإنسان في الحياة ، وأنها محصورة في أن الله تعالى جعله خليفة له على هذه الأرض :

(١) جادى الآخر ١٣٨٦ هـ أكتوبر ١٩٦٦ م

ولكى يقوم الإنسان بمطالب هذه الخلافة زوده الله تعالى بالمواهب والطاقة والعقل ، وجعل له التصرف في الأرض ، وما عليها وما في جوفها ، لكي يعمر وينتج وينتفع . وبين الباحث أن المسلمين الأولين ، كما أخذوا بهذا النظام نجحوا نجاحاً باهراً ونهضوا نهوضاً عظيماً ، وقال إن الشعوب التي تسمى اليوم شعوباً تقدمية تعاني آلام القلق والطمع ، والشعوب التي تسمى دولاً متخلفة عانت آلام الاحتلال الذي احتكر خبراتها ، فعليها أن تتحد وتتعاون لمناضلة الاحتلال .

وأما الشعوب العربية والإسلامية فقد خضعت للاحتلال زمنياً ، أفسد شؤونها ، وفرق كلمتها وأضعف قواها ، ولكنها استيقظت اليوم من سباتها ، وخير ما يعينها على التقدم والقوة أن تعتمد بالإسلام وتستمسك بتعاليمه .

٨ - التربية الحلقية والاجتماعية .

في السنة النبوية :

بحث في ست عشرة صفحة ألقاه بالمؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية (١) .

بين فيه أن الشريعة الإسلامية تهدف إلى ترقية الفرد والجماعة ، وإلى تزكية النفس وتطهيرها ، وكل هذا محقق في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف .

ثم بدأ يتحدث عن آثار السنة النبوية في تربية الأخلاق عند الفرد وفي الأسرة وبين الجيران ، وفي الأمة ، وفي الإنسانية عامة .

وبعد هذا عرض لتوجيه السنة الشريفة إلى تنظيم المجتمع وسد حاجاته وترقيته بالعلم والمال والعمل والإنتاج ، والتضامن ، وساق من الأحاديث شواهد على هذا كله .

٩ - مكانة بيت المقدس في الإسلام

بحث في اثنتي عشرة صفحة ألقاه في المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية (٢) .

عرف فيه بيت المقدس وموقعه وعرض لتاريخه منذ أن كان اسم المدينة أورشليم ، إلى أن حلت محلها مدينة القدس المسيحية ثم مدينة بيت المقدس الإسلامية منذ الفتح الإسلامي سنة ٦٣٨ م ثم تكلم عن مكانة بيت المقدس ، مبتدئاً بما جاء في سورة الإسراء ، وبما ذكره بعض المفسرين ، ثم بما ورد في بعض الأحاديث النبوية الشريفة . وعقب على هذا بمكانة بيت المقدس في قلوب المسلمين .

وبجهدهم الباسل في العصور السابقة لحماية بيت المقدس ، منذ الحروب الصليبية سنة ١٤٩٠ م إلى الغزو البريطاني سنة ١٩١٧ .

وختم البحث بالدعوة إلى الاتحاد لتطهير بيت المقدس من المعتدين عليه .

أحمد الحوفي

عضو المجمع

●● كلمة الأسرة لنجل الفقيد

يلقبها الدكتور محمد مهدي علام

« بسم الله الرحمن الرحيم »

سيدي الأستاذ الرئيس ،

سادتي أعضاء المجمع الموقر ،

باسم أسرة الفقيد أتقدم بالشكر العميق لمجمعكم الموقر على ما تفضلتم به من كريم مواساتكم يوم الوداع ، وفضل نعيكم غداة الوفاة ، وحفل تأبينكم اليوم في هذا الحرم العلمي الذي عكف فقيدنا على خدمته خمسة عشر عاماً لم ينقطع عنه في خلالها، ولم يقعه عن حضوره إلى جلسات المجمع ولجانه إلا مرضه الأخير :

وكان آخر ما نطق به قبل رحيله إلى مولاه ، أن نشكر من كان يزوره في مرضه وأن ننوب عنه في تحية من كان يسأل عنه في غيابه :

لقد كان المجمع هو ملتقى نشاطه وحبه وإخلاصه : وبقدر ما وهب له من الإخلاص منحنموه من التقدير في حياته، وفي مرضه، وفي وفاته . فلنكم أخلص الشكر جميعاً ، ولنائبكم في هذا الحفل ، الأستاذ الدكتور أحمد الحوفي أوفى الاعتراف بفضلته ووفائه :
أما السيد الدكتور الرئيس ، فلا مقدرة لي على شكره لما قاله يوم استقبال والدي هنا منذ خمسة عشر ، ولما قاله وهو يودعه اليوم .

شكر الله لكم جميعاً ، ومد في أعماركم،
وخلد أعمالكم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

●● كلمة الختام للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع

سيداتي . سادتي :

إذا كنا اليوم قد اجتمعنا هنا لتحدث عن الفقيد الكريم ونعدد ما أثره ونكشف بعضاً من جوانب حياته الخصب الممتدة فإن ما خلفه وراءه من أعمال سيظل نوراً يستضيء به طلاب العلم والمعرفة ، ولا يسعني في ختام

حفلنا هذا إلا أن أتقدم بخالص الشكر لكل الذين سعوا إلى هذه الدار ، وشاركونا حفل تأبين راحلنا العزيز .

تغمده الله بواسع رحمته ، وأنزل فسيح جنته ،

ورفعت الجلسة ، وشكراً لكم :

في الساعة الحادية عشرة من صباح الاثني عشر شهر
ربيع الآخر سنة ١٣٩٧ هـ الموافق ٢١ من مارس
سنة ١٩٧٧ م أقام المجمع حفل استقبال عضوية الجديدين :
الدكتور محمود حافظ ابراهيم والدكتور محمد محمود
الصياد .

وفيما يلي ما ألقى في الحفل من كلمات :

●● كلمة الافتتاح للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع

ولا أشك في أنهما سيعطيانه بسخاء أكثر بعد
أن أصبحا عضوين عاملين .
وباسم المجمع سيتولى الزميل الدكتور محمود
مختار استقبال الدكتور محمود حافظ إبراهيم ،
وسيتولى الزميل الدكتور محمد يوسف حسن
استقبال الدكتور محمد محمود الصياد .

سيداتي سادتي :

إنه لمن دواعي سرورنا جميعاً أن نجتمع
اليوم لاستقبال زميلين جديدين هما: الدكتور
محمود حافظ إبراهيم ، والدكتور محمد محمود
الصياد ، والزميلان ليسا جديدين على المجمع
فقد أعطياه بسخاء عندما كانا خبيرين به ،

كلمة الدكتور محمود مختار في استقبال



واحد من أعضائه إنما استعار من خلود هذا النظام لقبه الذي عرف به الجمعيون، فأعضاؤه خالدون بخلود هذا النظام الذي أنشئ ليبقى مابقيت مصر ، وما بقيت اللغة العربية .

وإنه لشرف عظيم لي أيها الصديق أن ينيبني الجمع لأهدى إليك هذا الوسام الرفيع وسام الخالدين ، وأهنتك به ، وقد جاء مكملًا ومتوجاً لوسامك العلمي الذي اكتسبته لنفسك في ميدان العلوم والبحوث ، وصعدت به إلى أعلى درجات الأستاذية :

سيدي الرئيس - أيها السادة الزملاء :
أرجو أن تسمحوا لي أن أقدم لكم في كلمات متواضعة شخصية وضاءة حملت مشعل العلم والتعليم زمناً طويلاً بأمانة وكفاية ورصعته بلآلئ من الدين الحنيف واللغة العربية المباركة . فأصبحت شخصية جديرة بثقتكم الغالية جديرة بزمالتكم الكريمة : تلك هي شخصية الأستاذ الدكتور محمود حافظ :

أخي الدكتور محمود حافظ

أيها الزميل الكريم

إني لسعيد كل السعادة أن منحني الجمع شرف الإنابة عنه في استقبالك بعد أن توجك أعضاؤه بثقتهم الغالية ومنحوك شرف الانضمام إلى مسيرتهم المباركة ، حاملين أمانة الحفاظ على اللغة العربية وإعلاء كلمتها؛ لتحتل مكان الصدارة بين لغات العالم الحية لغة عالمية وافية بمطالب العلوم والفنون في عصر العلم والحضارة، كما كانت في ماضيها العريق منار المعرفة في عصر الجهل والظلمات يحدوها ويصونها قرآنها المحيد في كل عصر وكل أوان :

والجمع أيها الصديق ، كما قال شيخه الراحل الدكتور طه حسين ، طيب الله ثراه، « ليس نظاماً مقصوراً على عصر دون عصر ، وإنما هو نظام خالد ماخلدت مصر : وكل

وإذا ما حدثتكم اليوم عن أخى الدكتور
محمود حافظ الذى نال منكم كل هذا التكريم
فإني أعتب كل الاغتباط لأعود بذاكرتى
لماضٍ بعيد . أتأمل فيه صوراً عزيزة براءة
مضيئة لاحت لي معه ونعمت بها زمنا كما
نعمت وأنعم بصداقته حتى اليوم :

عرفت الطالب محمود حافظ منذ عام
١٩٣١ عندما التحق بكلية العلوم بجامعة القاهرة
لدراسة الفيزيكا بالسنة الإعدادية للطب :
ورأيت فيه أول ما رأيت شابا وديعاً أنيقاً جداً
وزادت معرفتى به فعلمت أن لدخوله كلية
العلوم قصة طريفة . فقد ولد في مستهل عام
١٩١٢ بالقاهرة ، ثم نرح مع والديه إلى بلدة
فارسكور حيث أدخل الكتاب ليحفظ القرآن
الكريم كبداية مشرفة لتعليمه ، ثم ألحق بعد
ذلك بمعهد دمياط الدينى ليستكمل مسيرته
الدينية إلى الجامع الأزهرى كما كان مرسوماً
له . ولكن الرياح دفعت به إلى طريق التعليم
العام ، فأدخل مدرسة فارسكور الابتدائية
حيث كان التلميذ عبد الحليم منتصر على وشك
إنهاء دراسته في نفس المدرسة آنذاك . وفي
هذه المرحلة الابتدائية من التعليم لم ينس حينه
إلى علوم الدين وإلى اللغة العربية التى استقاها
على يد أستاذه الشيخ محمد توفيق والذى كان
يرى فيه التلميذ محمود حافظ مثلاً يحتذى في
لغته السلسة وبيانه العذب .

وانتقل التلميذ محمود حافظ بعد ذلك إلى
التعليم الثانوى بالمدرسة السعيدية بالقاهرة
حاملًا معه هذه الذخيرة القيمة من التربية
والتعليم . فوكلت إليه المدرسة أن يكون خطيباً
وإماماً لمسجدها : وفي حفل تأبين أقيم للمغفور
له سعد زغلول ، افتتح التلميذ محمود حافظ
الحفل بتلاوة من أى الذكر الحكيم بصوت
عذب رخيم . وفي المدرسة الثانوية تابع هوايته
لعلوم اللغة على يد الأستاذ أمين راجى
عبد الشافى الذى كان ينصحه أن يدخل القسم
الأدبى لما استشفه فيه من حسن استعداد له ،
ولكن الرياح أبت مرة أخرى إلا أن توجهه
إلى القسم العلمى ليلتحق بعد ذلك بكلية العلوم
بجامعة القاهرة . وهناك غير وجهته مرة أخرى
من دراسة الطب إلى دراسة العلوم بمشورة
من المغفور له الدكتور على مصطفى مشرفة
عميد الكلية . وتخرج محمود حافظ فى الكلية
عام ١٩٣٥ متخصصاً فى علوم الحياة ، ليبدأ
نشاطاً علمياً واسع الخطى ، صاعداً من معيد
إلى مدرس فأستاذ مساعد فأستاذ ، وفي فترة
قياسية وجيزة أصبح اسمه الأستاذ الدكتور
محمود حافظ أحد رواد علم الحياة بصفة
عامة وعلم الحشرات بصفة خاصة ، واحتل
اسمه موقع الصدارة بين أساتذة هذا العلم لافى
العالم العربى وحده بل فى العالم الكبير
وأصبحت له منزلة مرموقة فى الدوائر والهيئات
العلمية والمحافل ، حتى إن إحدى الهيئات
العلمية فى روسيا عدته من رواد الحركة
العلمية فى علوم الحياة ، ونشرت إنجازاته
العلمية ضمن مجلد ضخيم عن رواد علوم
الحياة عام ١٩٦٩ :

ومن بين إنجازاته العلمية البارزة :المساهمة في إنشاء قسم لعلم الحشرات بكلية العلوم الذى وضع حجره الأساسى الأستاذ حسن شاكر أفلاطون ، وتدرج فيه الدكتور محمود حافظ من معيد إلى رئيس ، كما أنشأ متحفاً للحشرات هو الأول من نوعه فى العالم العربى .

ويعتبر مرجعاً ممتازاً لآلاف الأجناس والأنواع . وأشرف الدكتور حافظ على بحوث عدد كبير من الطلاب يشغل بعضهم اليوم وظائف أساتذة فى الجامعات العربية :

وامتد نشاطه خارج الجامعة فأنشأ قسماً للحشرات ووقاية النبات بالمركز القومى للبحوث وقسماً آخر فى مؤسسة الطاقة الذرية والمركز الإقليمى للنظائر المشعة ، وأسهم فى تطوير معهد بحوث الحشرات فى وزارة الصحة ، وتناولت بحوثه الحشرات الطبية وخاصة الذباب المنزلى والقمل القارض والحشرات الزراعية ومنها الجراد ودودة القطن :

وفى غمرة كل هذا النشاط العلمى المتخصص كانت النزعة الدينية التى تأصلت فيه صبياً ويافعا مازالت تتجاوب بين جوانبه وتثير له طريق الهداية فى الحياة ، من ذلك أنه عمل أميناً عاماً لجمعية الهداية الإسلامية مع المغفور له الشيخ الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر الأسبق طيلة سبعة عشر عاماً .

وفى الناحية الإدارية ساهم الدكتور محمود حافظ مساهمة فعالة فى إدارة كلية العلوم بجامعة القاهرة حيث عمل وكيلاً لها فى عام

١٩٦٤ ولفترة عامين ، وفى هذه الفترة توطدت الصلة بيننا عن قرب ، وأشهد أنه كان لى خير الزميل والشريك فى إدارة الكلية مخلصاً فى عمله كل الإخلاص ، رزيناً جاداً متفانياً وموضع ثقة من الجميع ، وفى عام ١٩٦٦ عين وكيلاً للمجلس الأعلى للبحث العلمى فوكيلاً لوزارة البحث العلمى . ولكن حينه إلى الدراسة والبحث عاد به إلى الجامعة ليرأس قسم الحشرات مرة أخرى فى عام ١٩٦٨ وليبقى به بعد السن القانونية أستاذاً متفرغاً حتى الآن . وقد عمل الدكتور حافظ عضواً عاملاً ومستشاراً فى كثير من الهيئات العلمية فى وزارة الصحة والبحث العلمى والزراعة . وأكاديمية البحث العلمى ، وحيثما ذهب كانت إنجازاته العلمية تتوالى وتشهد له بالكفاية والنجاح .

أما فى ميدان التأليف والكتابة العلمية : فقد أثرت مؤلفاته ومترجماته المكتبة العلمية بعدد من الكتب الدراسية والثقافية باللغتين العربية والإنجليزية ، أذكر منها كتاب علم الحيوان العام ، وتشريح الحيوان ، وأسس علم الحيوان ، والحيوان العملى ، والحشرات وعهدت إليه مؤسسة فرانكلين للنشر وضع الجزء الخاص بعلم الحشرات فى موسوعتها العلمية العربية . وراجع الدكتور حافظ عدداً من الكتب المترجمة المرجعية والثقافية منها : تاريخ علم الأحياء ، وعالم النمل ، وقد نشر عدد منها فى مجموعة الألف كتاب .

يتعطش له اليوم الوسط العلمى فى أرجاء
الوطن العربى كافة :

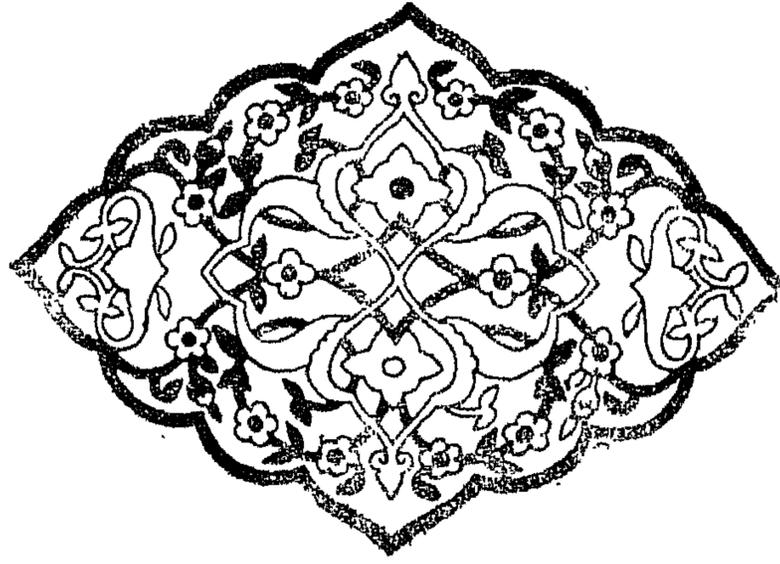
وفقكم الله أمناء على اللغة أوفياء لها ، رافعين
لواءها فى ركب الحضارة والعلوم والحياة ٥
والسلام عليكم ورحمة الله ٥

محمود مختار

عضو المجمع

سىدى الرئىس : . أهما السادة الزملاء

لاشك أن انضمام شخصية فذة إلى مجمعكم
الموقر لها كل هذا الرصيد الحافل من المكانة
العلمية واللغوية سوف تضيف دفعة قوية
لمسيرة المجمع ، ويزيد من إنتاجه العلمى اللغوى
الذى يعنى به كل العناية ، والذى أصبح يمثل
جزءاً كبيراً من إنتاجه . ذلك الإنتاج الذى



●● كلمة الدكتور محمود حافظ

هذا المجمع وتحقيق رسالته مترسماً خطاكم
سائراً على هديكم والله المستعان وهو نعم المولى
ونعم النصير .

كما أوجه الشكر جزيلاً وصادقاً إلى أخي
العالم الجليل الأستاذ الدكتور محمود مختار
الذي نعمت بصحبته وزمالاته في رحاب
الجامعة ومحراب العلم قرابة أربعين عاماً، كان
خلالها مثلاً رفيعاً للأستاذ الجامعي خلقاً وعلماً
وللعميد الذي يسوس أمور كليته بالحنكة
والاقتدار .

شكراً له على كلمته الكريمة التي استقبلني بها
وقدمني إليكم وعلى ما أسبغ على من فضله
وما أضفاه على شخصي من ثناء مستطاب هو
أجدر به مني .

سيدي الرئيس سادتي :

إن الإنسان ليشعر حقاً بالزهو والفخار
حين يؤذن له بدخول هذا المجمع العتيق، أو هذا
الصرح الشامخ من صروح العربية التي تسطع
في سمائه هذه النجوم الوضاعة، ويشخج بهذه
الصفوة من عمالقة اللغة والعلم والأدب .

هذا المجمع الذي حمل لواء العربية شامخاً
ساطعاً في الحافقين والذي بهرنا بإنتاجه العظيم
عبر خمسة وأربعين عاماً من عمره الزاهر ،

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى
لولا أن هدانا الله :

صدق الله العظيم

سيدي العالم الجليل رئيس المجمع وشيخ المجمعين :
سادتي العلماء الأجلاء أعضاء المجمع :

سيدي سادتي :

لم يدرك بخلدني في يوم من الأيام أن أنال
هذا الشرف العظيم الذي أنعم به اليوم والذي
طالما هفت إليه قلوب، وتطلعت إليه آمال،
أو أحظي بهذه المكانة العزيزة التي تستمد
عزتها وقدرها من شرف الانتساب إليكم ،
وإلى مجمعكم العظيم مجمع الخالدين .

ولكن هذه مشيئة الله ومشيئتكم إذ حبوتوني
بهذا الشرف وتفضلتم بفيض من سماحتكم
فأفسحت لي مكاناً في هذا المجمع الموقر كعبة
العربية وحصنها الحصين، وإني لأكاد أجد
الكلمات التي أعبر بها أصدق تعبير عما
يجيش به صدري من مشاعر الوفاء والامتنان
والعرفان لانتدابكم إياي عضواً بهذا المجمع
فأشكركم أنخلص الشكر وأعتمه على هذه الثقة
الغالية التي طوقتم بها عني، وأعاهد الله وأعاهدكم
على أن أبذل قصارى جهدي لخدمة أغراض

بهرنا بجهوده البارزة في إعلاء لغة القرآن وفي الكشف عن طاقاتها المبدعة الخلاقية وتطويعها لمقتضيات العصر في مختلف العلوم والفنون والبحث عما في بحرها الزاخر من الدرر والآلى - بهرنا بكل ذلك وهو لا يزال يؤدي رسالته العظيمة كما لم يؤدها مجمع من قبل حتى أضحى بهذه الخلفية الرائعة نسيج وحده بين الهيئات اللغوية والعلمية لا في مصر وحدها بل على الصعيد العربي كله .

ولا أعدو الحقيقة أيها السادة الأعلام إذا قلت إني وقد عشت أكثر من أربعين عاماً معلماً ومحاضراً في رحاب الجامعة ومحدثاً في العديد من المؤتمرات والاجتماعات العلمية في مصر والخارج ما تهيبت موقفاً كالذي أقفه اليوم بين أيديكم، وكيف لا أتهيب هذا الموقف وأمامي هذه القمم الشاخنة من جهابذة اللغة وهذه الصفوة الرائدة من أساطين العلم والأدب والذين بلغ بهم المجمع هذه المكانة الرفيعة التي يتسنىها اليوم، وأسبغوا عليه من العلم والفضل ما جعله أكبر مركز إشعاع لغوي ينشر نوره الوضاء في كل رجا من أرجاء العالم العربي .

فلاغرو أن تكون عضوية هذا المجمع أمنية عزيزة المثال تظل تراود أفئدة المتطلعين إليها، والراجين في تحقيقها سنوات وسنوات حتى يحظوا بها، وينعموا بهذا الشرف العظيم شرف الانتساب إلى مجمع الخالدين :

ولا أعدو الحقيقة كذلك إذا قلت إني لم أسعد بسنوات من عمري كنتك التي قضيتها

خبيراً بهذا المجمع أنفياً ظلاله وأترع من نبعه اللغوي كؤوس العلم والمعرفة، وكانت تبهرنى كل يوم هذه اللغة الجزلة المعطاءة التي تزخر بكل ما نبتغيه من معان ومصطلحات، وهذه الثروة اللغوية الهائلة المليئة بآلاف الدرر من المرادفات والمقابلات، مما ينهض دليلاً على قوة هذه اللغة وثرائها وشمولها واتساع آفاقها وقدراتها الفائقة على استيعاب التطور الذي نشهده في هذا العصر في شتى قطاعات العلم والمعرفة .

وإن كنت قد سعدت بهذه السنوات خبيراً في لجنة علوم الأحياء والزراعة وأضفت إلى معارفي الكثير فإني قبل ذلك سعدت أيضاً بسنوات ثلاث في صحبة عالم جليل أُشرب حب اللغة وجمالها هو الأستاذ الدكتور أحمد عمار قضيتها معه في ترجمة أحد المعاجم العلمية ونقله إلى اللغة العربية . تعلمت منه الكثير وكنا مع زملاء لنا نتلهف إلى أيام اللقاء كل أسبوع، نجلس إليه ونأخذ عنه، وكان حقاً مجلساً يفيض لغة وأدباً وعلماً ما كنا لنميل عنه أصعباً إلا لنميل إليه ميلاً، وهكذا مرت السنوات الثلاث وقد أغدق علينا خلالها من علمه وفضله زادا كبيراً :

سيدي الرئيس : . . سادتي الأعضاء :

في أواخر الثلاثينات من هذا القرن نبتت حركة مباركة بكلية العلوم بجامعة القاهرة مستهدية بهذا المجمع العظيم الذي كان قد سلخ من عمره بضع سنوات - نبتت حركة لترجمة

المصطلحات وتعريفها في مجال علوم الأحياء وخصوصاً في علم الحيوان كان رائدها المغفور له الدكتور محمد ولي من أشد المتعصبين للتدريس في الجامعة باللغة العربية وقد أعجبنا به إعجاباً كبيراً، ولازلنا في كلية العلوم نذكر له محاضراته الرائعة. وعنوانها « العربية لغة العلم » والتي ألقاها عام ١٩٣٣ بالجمع المصري للثقافة العلمية ونشرت في كتابه السنوي الرابع والتي فند فيها حجج الذين يدعون أن العربية لاتصلح أن تكون لغة للعلم ودعا فيها إلى التوسع في حركة الترجمة والتعريب والنحت والاشتقاق كما دعا إلى التدريس باللغة العربية بالجامعات وقد ناشد رحمه الله في هذه المحاضرة مجمع اللغة العربية، وكان في مراحل إنشائه الأولى أن يتوجه بجهوده نحو تدعيم الثقافة العلمية العربية وجعل اللغة العربية لغة العلم حقاً، إلى أن قال من فرط حماسه: « ولا يكون هذا إلا إذا تشيد المجمع على أساس هذا المبدأ ودق قلبه بما يبعثه فيه من الجهد واليقين وسرت نفحات هذه النهضة العربية في دمه، فتخللت جميع أجزاء جسمه، فأصبح علمياً عربياً في الشكل وفي الجوهر وأملنا في هذا المجمع كبير وثقتنا فيمن يقومون عليه عظيمة »، وليت العمر قد أمتد به حتى اليوم ليشهد الإنجازات الرائعة التي قام بها المجمع في هذا السبيل.

وقد قمنا معه حينذاك وخلال سنوات عدة بترجمة بعض المصطلحات في علم الحيوان وتعريبها واستخدامها في التدريس لطلبة الجامعة، وتأليف بعض الكتب في هذا المجال

باللغة العربية وترجمة كتب أجنبية إلى العربية وكان يشد أزرنا في هذا السبيل أستاذ جليل هو الدكتور كامل منصور أحد الرواد الأوائل في علم الحيوان ومرسى قواعده في مصر ومضينا في هذا الطريق مستمدين العون من عمل هذا المجمع العظيم، وما قام به السلف الصالح من معاجم، وعلى رأسها معجم الدكتور محمد شرف، ذلك العالم العملاق الذي أنجز بمفرده عملاً عظيماً يعتبر حتى اليوم قمة في الأداء والاستقصاء.

وحين أنشئ الاتحاد العلمي المصري عام ١٩٥٥ كشعبة من شعب الاتحاد العلمي العربي برياسة العالم الكبير المغفور له الأستاذ مصطفى نظيف طيب الله ثراه نشطت حركة تعريب المصطلحات العلمية وترجمتها، وإيجاد المقابلات المناسبة لها وقاد هذه الحركة العالم الجليل الأستاذ الدكتور عبد الحليم منتصر ودفع بهذه المصطلحات إلى المؤتمرات العلمية العربية التي عقدت في مصر وفي بعض البلاد العربية الشقيقة بمعاونة جامعة الدول العربية :

كل هذه الجهود المتواضعة والتي كان لي شرف الاشتراك في جميع مراحلها استمدت جذورها من عمل هذا المجمع العظيم وانبثقت من رغبة جامحة تعتلج في صدورنا للتدريس والتأليف باللغة العربية لطلبة الجامعات؛ إيماناً منا بأن الطالب يستوعب المادة العلمية بلغة قومه بدرجة أعلى بكثير مما لو تلقاها بلغة أجنبية، وقد قام على ذلك بجامعاتنا الدليل تلو الدليل.

ولا أراني ياسيدى الرئيس وسادتي الأعضاء
في حاجة إلى القول إنه إذا كانت حركة
التعريب العلمى والنقل إلى اللغة العربية وإحياء
التراث العلمى العربى قد خطت خطوات
فسيحة إلى الأمام في ربع القرن الأخير وظهر
العديد من المعاجم العربية في الوطن العربى
وخرجت آلاف المصطلحات في مختلف
العلوم والفنون إلى النور ؛ فإنكم أيها العلماء
الأعلام من خلال هذا المجمع العظيم ومؤتمراته
وقيادته الرشيدة قد قتم ولا زلتم تقومون
بالدور الرئيس في هذه الحركة المباركة التي
تزداد إتساعاً وازدهاراً محققة أهدافها العظمى
بالغة غاياتها النبيلة بإذن الله في نشر التعليم
باللغة العربية ، وإعلاء شأن هذه اللغة ودحض
الفرية التي يرددها بعض المتربصين بها ، من
أنها تقصر أحياناً عن الوفاء بمطالب العلم
الحديث والإيقاع السريع الذي نشهده في
هذا العصر لحركة العلم والتقدم العلمى :

ويطيب لى في هذه المناسبة أن أستعير
ما سبق أن قاله عنها زميلى الأستاذ الدكتور
محمود مختار من أن « مصر العربية الحديثة
حين دخلت عصر العلم والتكنولوجيا كان من
حسن الطالع أن وجدت لغة العلم والتكنولوجيا
أداة طيبة في ركابها ، تمهد لها الطريق وتوفر لها
مقومات السرفيه ، وطرقت لغة العلم الحديث
كل أبواب النشاط حتى أصبحت على حد
تعبير الأستاذ الكبير رئيس المجمع « لغة نعيش
معها في الحقل والمنزل ونرى آثارها في
المصنع والمتجر ، يرددها الأطفال في مدارسهم

ويعنى بها الشباب في جامعاتهم ، ويسجلها
العلماء في دراساتهم وبحوثهم . ومن حق
المجمع علينا نحن العلميين أن ندين له بالفضل
ونعترف له بالسبق وبعد النظر ؛ فقد أحسن
بالفعل منذ نشأته وكأنه كان يقرأ صحف الغيب
بما سيكون للغة العلم والتكنولوجيا من شأن
في حياتنا العلمية والتكنولوجية ، فأورد لها نصاً
صريحاً في لائحته يقول بأن « من أهم أغراض
هذا المجمع أن يجعل اللغة العربية وافية بمطالب
العلوم والفنون في تقديمها وملائمة على العموم
لحاجات الحياة في العصر الحاضر » :

وقد قطع المجمع شوطاً بعيداً نحو تحقيق
هذه الغاية ولا أكون مبالغاً إذا قلت إنه يجتاز
في هذه الآونة عصره الذهبي :

سيدى الرئيس . السادة الأعضاء :
من التقاليد الكريمة التي أرساها هذا المجمع
الموقر أن يتحدث العضو الجديد عن سلفه ،
وقد شاءت الظروف أن أشغل المقعد الذى
كان يشغله المغفور له الأستاذ الدكتور مراد
كامل العالم الجليل الذى نذر حياته للعلم والبحث
وأنفق عمره غواصاً في بحار المعرفة ، أتقن عدداً
كبيراً من لغات الشرق والغرب قديمها
وحديثها فأطل بها على ثقافات متعددة ونهل
كثيراً من نبعها الفياض ، وملاً صدره بعطرها
وشذاها فكان موسوعياً بكل معنى الكلمة
وقل أن يسكون له ضريب في عدد
اللغات واللهجات التي حذقها . وقد ظل في
محراب هذا المجمع عضواً بمجلسه سنين عدة

وخبيراً بلجانه طوال ربع قرن ، يعطيه ويجزل له العطاء ويسهم في نشاطه بعلمه الغزير وبحوثه اللغوية العميقة .

عرفت الفقيه قرابة خمسة عشر عاماً حين تزامننا في عضوية المجمع العلمي المصري وكنا نقوم على شثونه في الأمانة العامة وكثيراً ما التقينا وعرف كل منا الآخر عن قرب .

ولد الفقيه في عام ١٩٠٧ وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في مدارس الفرير والمارونية والمدرسة التوفيقية ، ثم التحق بكلية الآداب بقسم اللغة العربية واللغات الشرقية بجامعة القاهرة وتخرج فيها عام ١٩٣٠ ، ثم أوفدته الجامعة في بعثة إلى جامعة توبنجن بألمانيا الغربية ، فحصل على دبلوم في اللغة اللاتينية وآدابها عام ١٩٣٤ وعلى دبلوم آخر في اللغة اليونانية وآدابها في العام نفسه . وفي العام التالي (١٩٣٥) نال الفقيه درجة الدكتوراه ثم واصل دراسته بعد ذلك ونال درجة دكتوراه الأستاذية من الجامعة نفسها عام ١٩٣٨ ، وعاد بعد ذلك لينخرط في سلك هيئة التدريس بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، وظل يرقى مدارج السلم الجامعي حتى أصبح أستاذاً ورئيساً لقسم اللغات السامية بالكلية ، ولمع لمعاناً كبيراً وتألق في المحيط العلمي واللغوي ، وتلقفته هيئات كثيرة تبتغي علمه وخبرته . وعندما أعيد إنشاء مدرسة الألسن عام ١٩٥٢ انتدب عميداً لها ، فأرسي قواعدها قوية متينة ، وساس أمورها بمهارة وحكمة ، ونهض بها نهضة مباركة طوال ست سنوات متصلة .

وقد أتقن الفقيه لغات عدة ؛ ومن بين اللغات التي كان يؤلف ويتحدث بها الألمانية والإنجليزية والإيطالية والأسبانية أما اللغات التي تدخل في نطاق تخصصه فكانت كثيرة منها البابلية والأشورية والكنعانية والفينيقية والحميرية والحيشية واللغة المصرية القديمة واللغة القبطية بلهجاتها المختلفة واللغات الأثيوبية، وكان يتحدث اللغة الأمهرية بطلاقة، وبالإجمال فقد بلغ عدد اللغات واللهجات التي كان يعرفها الفقيه نحو خمس وأربعين لغة ولهجة، أتقن عدداً كبيراً منها.

وكان رحمه الله ذا باع طويل في البحث والاستقصاء والنشر والتأليف ؛ فقد بلغ عدد مؤلفاته نحو مائة وسبعين بحثاً تناولت مجالات عدة منها اللغويات ، والآداب العالمية ، ودراسة المخطوطات وتحقيقها ، والبرديات والنقوش والفنون القديمة والحديثة ؛ ودراسة الأديان وتاريخ الشرق وحضارته في العصور القديمة والوسيلة والحديثة ، وسير العلماء ، والمعاجم .

كما ألف عدة بحوث قيمة بالمجمع نشرت بمجلته منها « علم الأصوات نشأته وتطوره » ، « الزمن في الكيمياء عند العرب » ، « اللغة العربية لغة عالمية » ، كما أدلى بدلوه سنين طويلة في أعمال لجنة المعجم الكبير ولجنة اللهجات ولجنة الفنون ، وقد عين الفقيه عضواً بالمجمع عام ١٩٦١ .

ولمكأنة الفقيه العالمية اختير عضواً بالأكاديمية الألمانية للآثار ببرلين (عام

المعشر ، عرفه الكثيرون صديقاً وفيّاً مخلصاً
محباً للخير ، كما حباه الله بديهة حاضرة وذكاء
حاداً وقريحة وقادة .

سيدى الرئيس ، سادتى الأعضاء :

لا يمكننى فى هذه العجالة أن ألم بمناقب
المغفور له الدكتور مراد كامل وأعماله
الحالدة، فقد جاء ذكرها تفصيلاً فى كتب
المجمع عند استقباله وعند تأيينه، وكلها نماذج
رائدة من العمل العلمى واللغوى الرائع
الذى يعكس عبقرية هذا العالم الفذ المعطاء
والذى ينهض دليلاً ناصعاً على عظمة الخالق
حين يهب العلم والحكمة من يشاء .

تغمده الله الفقيد بواسع رحمته ، وأجزل
له الثواب جزاء ما قدم لوطنه وللإنسانية من
علم ينفع المؤمنين .

والسلام عليكم ورحمة الله ،

محمود حافظ إبراهيم

عضو المجمع

(١٩٥٩) وعضواً فخرياً بالمعهد
التشيكوسلوفاكى لدراسة الآثار المصرية
بجامعة كارل براج (عام ١٩٦٥) وأستاذا
مدى الحياة بجامعة فرايبورج بألمانيا وأستاذا
زائراً بجامعة انزبروك بالنمسا (عام ١٩٥١)

كما منح الفقيد أوسمة رفيعة عدة ، تقديرًا
لأعماله العلمية واللغوية من أثيوبيا وألمانيا
الغربية وإيطاليا ، وكذلك أسهم الفقيد بجهود
مرموقة فى كثير من الجمعيات والهيئات
العلمية المصرية التى عرفت قدره وشرفت
بعضويته ، ومنها المجمع العلمى المصرى
(١٩٥٠) ومعهد الدراسات الشرقية
(١٩٥٤) ومعهد الدراسات القبطية وجمعية
الآثار القبطية .

كما مثل الفقيد مصر وجامعة القاهرة فى
الكثير من المؤتمرات والاجتماعات العلمية
الدولية .

وفوق كل هذا فقد كان رحمه الله على
خلق كريم هادئ ، النفس وديع القلب حلو



كلمة الدكتور محمد يوسف حسن



في استقبال :

ولد الدكتور الصياد في حوالى منتصف العقد الثانى من هذا القرن لأبوين شفهما الصبر عشر سنوات طوال فى انتظار الولد ، فجاء محمد عزيزا ، محلا لكل حب ورعاية ، معقدا لآمال أسرته . ومنذ اللحظة الأولى تنافس فى أمر تربيته وتنشئته المتنافسون من الأسرة المحبة وعلى رأسهم الجد والأب ، ولم يكده صاحبنا يتم الحول الرابع حتى حمى وطيس التنافس ، ولجّ الرجلان فى الجدل بشأن كيفية تعليم الطفل : الوالد الطموح الشاب يريد رجلا عصرياً يتخذ « البدلة » و « الطربوش » ، ويسلك طريقه بين الأفندية على حد تعبير ذلك الوقت . والجد المطمئن الكهل يريد شيخاً وقوراً فقيهاً يعيد سيرة السلف الصالح الحافظ للقرآن ، المتبحر فى علوم الشرع والبيان . وكانت الغلبة كالمعتاد فى قلب الريف لشيخ الأسرة لا يراجع فى قراره الأخير أحد وكسب الجد الجولة الأولى ، ولم يتباطأ لحظة فى تنفيذ القرار ، فحمل حفيده حملاً وذهب به إلى الكتاب . أما الكسب الحقيقى فقد كان للحفيد الذى مكث فى الكتاب مدة حفظ فيها معظم القرآن الكريم ، فتزود لسانه وجنانه من الفصحى بخير زاد ٥

سيدى الرئيس الجليل ، سادتى الزملاء الأجلاء :

ينضم اليوم إلى موكب الخالدين عالم فاضل ، وأديب شاعر ، تخصص فى الجغرافيا فبلغ الدرى ونال الجوائز ، وهوى الأدب فملك ناصية القوافى وأسرت معانيه القلوب ذلك هو الدكتور محمد محمود الصياد : عميد معهد البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة القاهرة . والصياد رجل من صميم ريف مصر ، مسقط رأسه « بلكيم » من أعمال مركز السنطة بوسط الدلتا . عاش عمره محباً لقريته الصغيرة ، مهتماً بأمرها وأهلها ، متحلياً بفضائل أهل الريف من سماحة خلق ، ووفاء نفس ، وحب للطبيعة والبساطة ، وكلف بالعلم ، وإقبال عليه حيثما كانت مظانه . وإن شعره فى قريته ليعبر عن حبه ووفائه لها أجمل تعبير ، إذ يقول :

ياقريتي أنت مثل النخل محسنة
لكن ثيابك مثل النخل خلقان

يرمى لنا النخل إذ نرمى الحصا بلحا
نسىء نحن ، وطبع النخل إحسان
متى أراك برغد العيش ناعمة
ويكتسى فيك بعد الفقر عريان

ولما حان وقت الانتقال إلى معهد أعلى تجدد التنافس بين الشيخين، وكاد الجديد يكسب الجولة الثانية أيضاً. وأن يدخل الطفل المعهد الديني الأحمدى بطنطا يدرس القرآن وعلوم الدين واللغة . وصارت بين الرجلين جفوة بسبب هذا القرار . . . ولكن إلى حين . . . عندما تدخلت المصادفات لتزيل الجفوة بين الراعيتين المتنافسين . ولتعديل مسير حياة الصياد ، فقد هبط على الأسرة في عطلة الصيف زائر من طلاب مدرسة دار العلوم العليا . وفي جلسة هادئة مع الجسد تجاذبا أطراف حديث علم منه أن تلك المدرسة العليا تبحث في علوم اللغة وما يتصل بها ، وتقبل الطلاب فيما يسمى بتجهيزية دار العلوم إذا كانوا حائزين على الشهادة الابتدائية مع حفظ تام للقرآن . وهنا تجلت حكمة الجسد في إنهاء الجفوة بينه وبين ابنه بدبلوماسية بارعة ترضيهما معاً ، ولا تصوره متنازلاً عن مبادئه . فرفرف السلام بينهما ، وهدأ اللجاج على أثر قرار بتوجيه صاحبنا إلى المدرسة الابتدائية توطئة لالتحاقه بتجهيزية دار العلوم . ولكن بما انقضى الصيف حتى صدرت القرارات بإلغاء تجهيزية دار العلوم ، وقصر القبول في المدرسة العليا على حملة البكالوريا . وإذن ، فلا بد مما ليس منه بد ، وأدخل صاحبنا المدرسة الابتدائية ، ولكن بشروط الجسد التي أذعن لها الوالد والابن . ولم يكن لصاحبنا المسكين خيار في تقبل نتائج ذلك التنافس الشديد الشريف ، فارتدى البدلة شتاء واستوى أفندياً كرام والده ، خلعها صيفاً ودخل في الجللاب والكتاب

لتجويد القرآن وإتمام حفظه . ونال الشهادة الابتدائية وتحرر من نير التحكم في أمر تحديد مستقبله دون استطلاع رأيه . ودخل المدرسة الثانوية فبرز في الرياضيات ، وسجل فيها الدرجة النهائية في شهادة الكفاءة . وكان أمره هذا المرة له هو ولقدراته ، فالتحق مختاراً بالقسم العلمي . ولم يكن هذا إلا ظاهراً من الأمر فقط ، إذ تدخلت المصادفة ، واكتشف الفتى في نفسه نزعة قوية إلى الشعر الذي أسلم له قياد القوافي أول أمره هجاء مرأ فيمن لا يعجبه من الأتراب ، فذاع أمره وحسب له المنافسون ألف حساب . واستثمر هذا الرصيد القوي ، فرشح نفسه لرئاسة القسم الداخلي بالمدرسة وهو لا يزال في الصف الثاني ، فانتخبه الزملاء بإجماع الأصوات تقيّة من لسانه ، أكثر من رغبتهم في إسلام قيادهم له .

وما كاد الفتى يستمرئ لذة الاستقلال في تقرير مصيره التعليمي حتى تدخلت منحة الشعر لتدفع بحياته إلى سبيل آخر غير ما اختار ، إذ اكتشف ناظر المدرسة الأستاذ أمين كحيل شاعرية طالب السنة الرابعة (القسم العلمي) ، وتجليته في حلقات الشعر والخطابة ، فأعجب به واستدعاه لينهى إليه أنه يتوسم فيه خطيباً مفوهاً ، ومنطقياً مقنعاً . وأديباً مبدعاً ، وهي مؤهلات تصنع من صاحبها المحامي اللوذعي أو الوزير الأملعي ، لذلك فهو يضمن بتلك المواهب أن تحتبس في صوامع العلوم . ومحضه النصيح أن يتحول إلى شعبة الآداب . وتردد محمد ذو العقلية

الرياضية في قبول رأى غير رأيه ، وتعلل بأنه قد تسلم الكراسات والكتب العلمية وسجل اسمه بها . لكن الأستاذ أبطل حجته لتوه ، وأمر له بكراسات جديدة وبكتب الآداب . ورضخ محمد للأمر ، وهكذا تدخلت الأقدار مرة أخرى لتغير مسيرة حياته ، فاتجهت به ضد إرادته إلى شعبة الآداب . ولكن كما أثبتت الأيام كان المحبلي دائماً في كل مجال ، فقد كان ملء السمع والبصر بالمدرسة في مرحلة ما بعد الكفاءة : فهو رئيس اللجنة الثقافية ، وخطيب المحافل وشاعر الندوات والمناسبات ، والسادس في الترتيب على طلاب مصر كلهم في شهادة البكالوريا سنة ١٩٣٥ . وظن أنه حصل بها ما يكفي من علم ، وطفق يبحث عن وظيفة بهذا التفوق فلم يجد ، بل رأى من دونه في الدرجات يحظى بها ، ولكن عن طريق الوساطات وفي هذا المعنى دبح براعه فيما بعد شعراً يسخر فيه من تلك الأوضاع يقول :

شهادتك العليا الوساطات فأتنا

بن ، وإلا ، فانتظر ليلة القدر

بدأ منذ تلك اللحظة يرى حقيقة المجتمع الذى كان يعيش فيه ، فماذا يصنع ؟ خير له أن يستزيد من العلم . وجمعت الصدفة بزميل ، واتفقنا على التقدم إلى معهد التربية الابتدائية فهو يضمن وظيفة مدرس ، ومثلاً أمام لجنة الاختبار الشخصى فباعا بالفشل إذ لم تكن لديهما توصية ، وخرجا ناقلين ، يندبان سوء الحظ « وقلة الوساطة » وساقتهما

خطواتهما إلى شاطئ النيل ، فزيّن نه صاحبه أن يلتقيا بنفسيهما فيه ، إذ لاخير في حياة أسسها الشفاعات والوساطات ، لا التفوق والدرجات . لكن هذا لم يكن مبدأ لمحمد ، فثنى صاحبه عن ذلك التمرار اليائس ، وذهبا معا للتقدم إلى كلية الحقوق ، ولكنه صادف على بابها زميلاً لا يحبه كان يتقدم إليها . وهنا استيقظ الشاعر في نفسه فصرفه عنها حتى لا يزامل زميلاً لا يحبه ، واستشرفت نفسه إلى كلية لها أوثق صلة بما يهواه من أدب وشعر .

أحب كلية الآداب منذ السنة الأولى ، ولاغرو فقد تلقى فيها على عمالقة الفكر والأدب في جيله : مصطفى عبد الرزاق ، منصور فهمى ، يوسف كرم ، محمد عوض محمد . أما طه حسين فقد كان محمد يتغيب عن بعض المحاضرات في تخصصه ليحضر عليه دروسه في الأدب الجاهلى . وانقضى عامه الأول في الكلية قبل التخصص ، وخرج منه بقصة غرام عنيفة مع الفلسفة التى قرر أن يتخصص فيها متأثراً بدروس مصطفى عبد الرزاق ومنصرف نهجى . وذهب لقضاء الصيف كعادته في القرية . وما كاد يفصح هناك عن غرامه وقراره حتى قوبل من أهل القرية بثورة من الإنكار والإشفاق على حافظ القرآن من التردى في مزلق الكفر ، وما للفلسفة في رأيهم إلا كذلك ، وخشى محمد أن تضيع مكانته ، ويفقد منزلته في قلوب ذويه وأحبائه

من أهل قرينته ، فرجع إلى الجامعة كسيف
البال يطوف جسمه بأقسام كليته ، أما قلبه
فمع الفلسفة ، حتى استقر به المطاف دون
اختيار في قسم الجغرافيا . لكن الله عوضه عن
حبه الضائع للفلسفة بدرجة الليسانس في
الجغرافيا بعد ثلاث سنوات بتقدير ممتاز
وبالمركز الأول بين الخريجين .

واستقامت له الطريق منذ ذلك الحين في
سلك الجامعة بعد انعطافة قصيرة على التدريس
بالمدراس الثانوية فبرز في الجغرافيا فارساً
لا يشق له غبار . وحصل على دكتوراه الفلسفة
في العلوم البحتة بدرجة ممتاز في الجغرافيا من
جامعة درام بإنجلترا عام ١٩٤٧ ، وكان
موضوع رسالته « اقتصاديات السودان في
ضوء تطوره السياسي » . ولم يكن اختياره
للسودان موضوع بحث للدكتوراه مجرد
مصادفة ، ولكن ثمرة حب وغرام بالبلد
الشقيق نما وترعرع في أثناء رحلة إليه مع
الجامعة في عام ١٩٣٨ . وتصور هذا الحب
قصيدته التي تفيض بهذه العواطف نحو
السودان ، والتي كانت ثاني ما نشر له من
شعر ، يقول فيها :

خرطوم جنتك زائراً
يحدوني الشوق الذي بي
مامنى أومس صحتي
في طريقك من لغوب
جئنا إليك يقودنا
شوق الحب إلى الحبيب

بلغ الخليل خليله
وأنى النسيب إلى النسيب
يامركب الأمل الجميل
بلغت مرساه ، فطبي
هذى هي الخرطوم قد
لقيتك بالصدر الرحيب
ودعت عاصمة الشمال
وجئت عاصمة الجنوب
قرى فلت غريبة فيها
ولا أنا بالغريب

وشغل الصياد منصب التدريس في الجامعة
بعد الدكتوراه ، وهنا تدخل الشعر صريحاً
عنيفاً في مستقبله وتحديد مسيرته ، فاندفع
الشاعر الناضج المدرس الجامعي الشاب مطلقاً
العنان لأجنحة الشعر وأغراضه كما تمليها عليه
القرينة والحياة ، لا يقول إلا ماتوحيان به ،
دستوره في ذلك ما حدده في شعره من
مبادئ :

إذا لم أكن حر العقيدة في الذي
أقول - فإنني لست بالرجل الحر
أدافع عن رأى به أنا مؤمن
ولو قادني هذا الدفاع إلى الضر
يعدون إيماني على جريرة
ولن يحملوا عني - إذا صدقوا - وزرى

وجنى عليه شعره السياسي والاجتماعي ،
فكاد يفقده وظيفته بسبب قصيدة حماسية
بعنوان « اندفاعات » نشرها عام ١٩٤٥ .
ولكنه استمسك دائماً بمبادئه ، وكان كل الذي
تلقاه نفسه في سبيل ذلك محبباً . وأبعد عن

الجامعة في عام ١٩٥٥ إلى إدارة الثقافة بوزارة المعارف ، والذي جنى عليه تلك المرة شعر غزلي ، ولم يكن شعراً ماجناً، ولكنه كان صادقا جريئاً معبراً مندفعاً بغزارة وحرارة فاتهم بأنه يفتن بشعره الشباب من تلاميذه وتلميذاته ، واهتبلها بعض الحاقدين فرصة فراح يدش له . ولم يجزع الصياد لذلك القرار الظالم ، ولم يعتذر عما قال لإيمانه بنقائه ، فجادل الظلم بالتي هي أحسن ، ولم يزد بعد نفاذ القرار على قوله فيمن آذاه :

قالوا به فتن الحسان ولم أكن
والله إلا الشاعر المفتونا

ورب نعمة جاءت في صورة نقمة ، فبعد خروجه من الجامعة دعاه رجل آمن بقدراته وصدق عزيمته هو المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام ، دعاه ليساعده في إنشاء جامعة الرياض ، فنجح في مهمته كل النجاح وعاد من الرياض بعد أربع سنوات ليشتغل منصب أستاذ كرسي الجغرافيا ، ووكيل كلية البنات بجامعة عين شمس . وظل في هذا المنصب حتى سنة ١٩٧٤ م ، حين اختير عميدا لمعهد البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة القاهرة

وكانت تلك المدة مرحلة جديدة مستقرة من حياته العلمية والفكرية ، خصب فيها إنتاجه ، وذاع شعره ، وخطا فيها أولى خطواته نحو الخلود بالعمل في هذا المجمع الموقر منذ سنة ١٩٥٩ أول خبير في لجنة الجغرافيا . وأسهم في تلك السنوات بأعمال مجتمعية جلية مع أستاذه العظيم المغفور له الدكتور محمد عوض محمد ، وكانت ثمرة تلك الأعمال « المعجم الجغرافي » الفذ الذي أصدره المجمع في عام ١٩٧٥ .

وما أظنني محتاجاني هذا التقديم إلى تعديد كتبه وأعماله القيمة ، فقد قدمته أعماله وكتبه إلى مجمعنا هذا أحسن تقديم ، وهي تربو على الستين باللغة العربية وباللغة الإنجليزية . ولكني أخص منها بالذكر رائحته : كتاب « سيد الأنهار » في جغرافية النيل ، وديوان « ثم جاء الخريف » :

ذلك هو الدكتور محمد محمود الصياد الذي يستقبله اليوم مجمع الخالدين مرحباً فخوراً بالعالم الشاعر الذي أطلق عليه طه حسين منذ كان طالباً في كلية الآداب لقب « شاعر الجغرافيين وجغرافي الشعراء » :

محمد يوسف حسن
عضو المجمع

كلمة الدكتور محمد محمود الصياد :

وكرمتوني فاخترتم اليوم الأول من أيام
الربيع لأخطو فيه أولى خطواتي إلى رحابكم
الكريم ، وكأنما أحسستم بضغني فأردتم -
مشكورين - أن تجعلوا لي من عنفوان الربيع
عوناً وسنداً .

لهذا كله ، أشعر بأن بياني قاصر عن أن
يدنو من الوفاء بما يوجبه حقكم علي ، وأرى
قلمي عاجزاً عن أن يجرى بالشكر إلى الغاية
التي تناسب فضلكم ومقامكم ، فلا أجزئ
من العبارة بالإشارة :

إن القليل من الكلام بأهله
حسن ، وإن كثيره ممقوت
مازل ذو صمت ، وما من مكتر
إلا يزل ، وما يعاب صموت

أيها السادة العلماء

كنت قد قرأت فيما قرأت من وثائق
المجمع ، أن كثيراً ممن وقفوا موقفي هذا من
قبل قد هابوه ، فمنهم من أعلن هذا تصريحاً ،
ومنهم من لمح إليه تلميحاً . ولكنني
وأصدقكم القول لم أتهيب الموقف ولم أستشعر
الخوف ، لا لشجاعة أزعمها ، أو قدرة علي
الكلام أدعيها .

سيدي الرئيس :

أساتذتي الأجلاء :

جزاكم الله عني أحسن الجزاء وأوفاه .
فلقد كرمتموني أكثر من تكريم .

كرمتوني فرضتم ثقتم الغالية في
شخصي الضعيف ليكون عضواً في مجمعكم
الموقر ، مجمع الخالدين ، وأرجو أن أكون
جديراً بهذه الثقة ، وأن يهيئ الله لي من
أمرى رشداً .

وكرمتوني فأذنتم لي بدخول هذا الصرح
الشامخ دون أن يطول وقوفي بالباب وهذا
شرف عظيم ، أعز به وأفخر .

وكرمتوني فشتمت أن أتبوا مقعداً كان
يشغله من قبل إمام من أئمة المسلمين ، رضي
الله عنه ، وأجزل في الآخرة ثوابه ، وإنه
لأمر لا طاقة لي به ، وسفاهة أن تطاول
الأرض السماء أو أن تفاخر الشهب الحصى
والجنادل .

وكرمتوني فندبتم عنكم أخواً عزيزاً وصديقاً
كريماً ليقدمني إلى مجمعكم الموقر ، فأحسن بي
الظن ، وأثنى علي بما هو أهل له ، لا بما أنا له
أهل ، « وحسن في كل عين من تود » .

أيها الأساتذة الأجلاء ، سادة الفصحى
وحمايتنا :

لقد دالتكم العجمة التي أخذت تنفشي في
لغة أصحاب العلوم الحديثة ، حين أخذوا
يستعرون من الغرب مصطلحات لعلومهم ،
في فوضى لا ضابط لها ، فتبليت ألسنتهم حتى
كاد الواحد منهم لا يفهم أخاه ، ومن ثم
حرصتم على أن يضم مجمعكم الموقر شتى
التخصصات بجانب التخصص في اللغة
وآدابها ، وكان من حسن حظ الجغرافيا
أن جاء يمثلها في مجمعكم جغرافي فذ ، هو
في الوقت نفسه أديب مقتدر . ذلكم هو
أستاذي المغفور له محمد عوض محمد ،
رحمه الله فقد جمع بين الحسينين :

والجغرافيا أيها السادة علم شامل ، له
صلات واسعة بشتى فروع المعرفة الإنسانية
وما أقول ذلك من قبيل المغالاة أو التعصب
للتخصص ، فقد سبقني إليه « استرابون »
منذ عشرين قرناً فقال إن الجغرافيين من
أوفر الناس حكمة وأنهم كلهم فلاسفة .

وإن للجغرافيا عند العرب لشأناً ، فقد
كانوا أول أمرهم أهل بادية ، يتنقلون في
الصحراء بإبلهم وأغنمهم ، انتجاعاً للكلاء
وبحثاً عن موارد الماء . وما كان في استطاعتهم
أن يتجولوا في تلك الفياض إلا إذا حددوا فيها
معالم يتخذون منها علامات في سير النهار ،
وعرفوا شيئاً عن النجوم يهتدون بها في سري
الليل البهيم . وهكذا فرضت عليهم ظروف

ولكني شرفت بمعرفة الكثير منكم سنين
طويلة ، فما وجدت بينكم إلا أخاً كريماً أو
أستاذاً عطوفاً ، والأخ لا يرهب الحديث إلى
أخيه الأكبر فهو دائم الطمع في حلمه وحده ،
والتلميذ لا يخشى الكلام مع أستاذه فهو واثق
من أن صدره رحب فلن يضيق به وإن أخطأ .

وكنت قد اتصلت بمجمعكم الموقر منذ
ثمانية عشر عاماً ، يوم أن شرفني أستاذي
العلامة المرحوم محمد شفيق غربال فدعاني
للمشاركة في لجنة الجغرافيا والتاريخ بالمجمع
وكانت تضمهما لجنة للخبراء واحدة . ولم
يكذ ينصرم العام حتى انضم إلى زمركم عالمان
جليلان هما الأستاذ إسماعيل مظهر والدكتور
محمد عوض محمد فاستقلا بلجنة للجغرافيا
وأنا معهما خبير ، ولا أستطيع أن أضف لكم
السعادة الغامرة التي شعرت بها يوم أن دلفت
إلى هذه القاعة لأول مرة ، أعرض عليكم
ما استقر عليه رأى اللجنة من مصطلحات
علمية .

كنت أستمع بمناقشاتكم حول مصطلح
مقترح ، وحوارك في الدفاع عن الفصحى
وأساليبها ، فأتعلم الشيء الكثير ، وكان فيكم
من الكرم ورحابة الصدر ما يشجعني على أن
يكون لي رأى ، ولكم خرجت من مجلسكم
وأنا قرير العين ، منشرح الصدر ، لأنكم
رضيتم عن كلام قلته ، وأقررتوني على
رأى أبديته .

بينهم الأولى أن يكونوا على علم ببعض النواحي الجغرافية وإن لم يقصدوها لذاتها . وما ترددت الحقائق الجغرافية في شعر كما ترددت في شعر الجاهليين ، وحسبك أن تقرأ المعلقات السبع ، لترى كيف حفلت بالأعلام الجغرافية وبصور البيئة .

وكانت رواية الشعر من أهم ما عني به العرب على مر العصور ، فهو ديوان مفاخرهم وسجل أمجادهم ، تتناقله ألسنة الرواة من جيل إلى جيل ، وقصائده حافلة بالحقائق الجغرافية فكان هذا من فضل الشعر العربي على الجغرافيا ، إذ خلد حقائقها بخلوده ، وحفظ الجذور الأولى للفكر الجغرافي العربي فأصبح الشعر مصدراً مهماً من مصادر الدراسة الجغرافية لما اشتمل عليه من مادة مضيئة لو أنها لقيت ما هي خليقة به من عناية الباحثين :

لا غرابة إذن أن كانت الجغرافيا من بين العلوم التي اشتغل بها العلماء الأوائل فنجد الأصمعي وهو شيخ من شيوخ اللغة ، من العارفين بجغرافية الجزيرة العربية معرفة العالم الخبير . وتستمر هذه الصلة بين الجغرافية واللغة حتى عصر متأخر فنجدها في «معجم البلدان» لياقوت الحموي وهو من الموسوعات الجغرافية ونجدها في «تاج العروس» للزبيدي ، وهو من معاجم اللغة . وهكذا أسهم الشعراء وأصحاب اللغة في وضع اللبنة الأولى في صرح الجغرافيا العربية ، ولا تكاد تفتش عن شكل من أشكال سطح الأرض ،

أو مظهر من مظاهر البيئة ، إلا وتجد لأولئك العلماء الأعلام الحظ الأوفر في شرحه وتوضيحه .

وظهر الإسلام في القرن السابع الميلادي ، ومن أركانه حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ، والحج رحلة كانت في غابر الأزمان تتطلب معرفة بالطرق وما بها من موارد الماء ومنازل القبائل وأماكن الراحة . ومن قبل كان كثير من العرب أهل تجارة ، وهي حرفة تتطلب منهم أن يمشوا في مناكب الأرض ، وأن يعرفوا مدنها وأسواقها وما تغله أراضيها أو تنتجها صناعاتها وأحوال أهلها وعاداتهم وتقاليدهم ، وهل الجغرافيا سوى العلم بالأرض والناس ؟

كانت الجغرافيا العربية إذن في نشأتها الأولى وليدة ظروف البيئة إلى حد كبير ، ثم زاد اتساع رقعة الدولة الإسلامية في أهميتها إذ أصبح من الضروري الوقوف على أحوال البلاد التي فتحها الله على المسلمين ، ومعرفة الطرق التي تربط بين أجزاء الدولة التي شرقت حتى بلغت حدود الصين ، وغربت حتى انتهت إلى بحر الظلمات : وكانت الحضارة العربية الإسلامية قد أخذت تتأصل جذورها ، وظهر لفييف من العلماء أولوا اهتمامهم بتقويم البلدان ، فكثرت في هذا المجال مصنفاتهم ، ولا تزال هذه المصنفات - وإن قدم بها العهد - تمثل مرحلة بارزة في تاريخ الفكر الجغرافي وتطوره ، وكان لهؤلاء العلماء من رجاحة العقل ورحابة

الفكر ما جعلهم يأخذون من الحضارات القديمة التي اتصلوا بها ، ما اتسعت له حضارتهم الجديدة وما لم يتعارض مع دينهم الحنيف .

ولم يستخدم العرب لفظ « جغرافيا » للدلالة على العلم الذي يدرس الأرض إلا في عصر متأخر ، وان استخدموه علما على الكتاب الذي ألفه بطلميوس القلوذى . ولعل « إخوان الصفاء » هم أول من استخدموا اللفظ للدلالة على علم خاص في رسائلهم المعروفة ثم أخذ اللفظ يشيع من بعد ، وإن بقي بعض الكتاب يستخدم مصطلح « تقويم البلدان » وهو عندي أصدق دلالة فليس للوصف في العلم مكانة التقويم .

واستقر في اللغة العربية مصطلح « جغرافيا » فنجد حاجي خليفة يعرفها في كتابه المعروف « كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون » فيقول : « علم جغرافيا » وهي كلمة يونانية بمعنى صورة الأرض ، ويقال جغراويا على الأصل ، وهو علم يتعرف منه أحوال الأقاليم السبعة الواقعة في الربع المسكون من الأرض ، وعرض البلدان الواقعة فيها وأطوالها وعدد مدنها ، وجبالها ، وبراريها ، وبحارها ، وأنهارها ، إلى غير ذلك من أحوال الربع ، كذا في مفتاح السعادة ، وهو هنا يشير إلى كتاب « مفتاح السعادة ومصباح السيادة » لأبي الخير طاش كبرى زاده :

ويبدو أن الجغرافيا العربية كانت قد بدأت في القرن العاشر الهجري تهتم بالناحية البشرية ، يدل على ذلك ما ينقله حاجي خليفة عن داود ابن عمر أنطاكي في تذكرته من أن الجغرافيا « علم بأحوال الأرض من حيث تقسيمها إلى الأقاليم والجبال والأنهار وما يختلف حال السكان باختلافه » وتدل العبارة الأخيرة على أن الجغرافية العربية قد أدركت العلاقة بين الإنسان وبيئته الطبيعية وأثر البيئة في اختلاف نواحي النشاط البشري : وهكذا سبقت الجغرافيا الحديثة بأربعة قرون :

ولا أريد أيها السادة أن أطيل الحديث عن الجغرافيا العربية فذلك بحر بلا ساحل ولكن كل ما أرجوه أن يهتم مجتمعنا الموقر بالتراث الجغرافي العربي القديم ، وبمعالجته في إطار عصرى . وأن توجه العناية إلى استقراء الشعر العربي في العصرين الجاهلي والإسلامي ، واستخراج مافيه من ألفاظ تتعلق بشكل الأرض وخصائص البيئة ، ففيه وفي معاجم اللغة كنوز مدفونة ، لوبعثناها لأغنتنا عن الترجمة والتعريب ، وقد حاولنا شيئا من هذا ، ولكنه جهد المقل ، في المعجم الجغرافي الذي صدر عن المجمع في عام ١٩٧٤ فأحيينا بعض المصطلحات العربية القديمة وأعدنا بعض ألفاظ الأجنبية إلى أصلها العربي العريق : . . إن لغتنا الفصحى بحر في أحشائه الدرر الكامن ، ولكنه يحتاج إلى الغواص الماهر الشجاع . وهي قادرة على أن تكون لغة علم

وإن رماها بالعقم الحراصون . وصدق حافظ
حين قال فيها :

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية
وماضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آله
وتنسيق أسماء مخترعات ! ؟

أيها السادة الأجلاء .

جرت تقاليد مجتمعكم أن يتحدث الخلف
عن السلف ، واني لأذكر بالخير ساني العظيم
المغفور له فضيلة الشيخ عبد الرحمن تاج
أسكنه الله فسيح جناته ، وأذكر خدمته
للدين الحنيف ، وللغة القرآن الكريم ، وكنت
أتمنى أن تكون كلمتي بما يتفق مع ما كان
له من مقام ، ولكني عرفته بالسماح والقراءة ،
وما عرفته بالصحبة والخلطة ، فإذا جاءت
كلمتي دون قدره ، فأرجو ألا تكون مقصرة
عن الوفاء للتقاليد .

ولد الشيخ عبدالرحمن تاج في أسيوط
عاصمة الصعيد والقرن الماضي يوشك أن
ينصرم ، وفيها حفظ القرآن وجوده ، ومنها
انتقل إلى الإسكندرية عروس البحر المتوسط ،
فالتحق بمعهدا الدينى ، وبقى بها حتى نال
الشهادة العالمية في سنة ١٩٢٢ وكان أول
الناجحين فيها ، وهكذا كان شأنه في أغلب
سنى دراسته ثم غادر الإسكندرية إلى القاهرة
والتحق بقسم التخصص في القضاء الشرعى
وعلوم الشريعة فأحرز شهادته متفوقاً فيها بعد
أربع سنوات . وعاد إلى مسقط رأسه مدرساً

بالمعهد الدينى هناك ، فبقى به خمس سنوات
نقل بعدها مدرساً بمعهد القاهرة . ولم يطل
مكثه فيه ، إذ اختير بعد عامين للتدريس
بكلية الشريعة . واعترافاً بعلمه وفضله
اختير وهو مدرس بكلية عضواً يمثل
المذهب الحنفى في لجنة الفتوى التى أنشأها
الأزهر في عام ١٩٣٥ وفى السنة التالية أوفد
في بعثة علمية إلى باريس للحصول على درجة
الدكتوراه .

وكان من أولى العزم فأجاد لغة القوم في
وقت وجيز ، وكتب فيها رسالة عن « البائية
والإسلام » نال بها درجة دكتوراه الفلسفة
في تاريخ الأديان من جامعة السربون في عام
١٩٤٦ . وكان كما حدثنى بعض معاصريه
خلال إقامته في فرنسا مثالا للنبل والخلق
الكريم ، لم تهره حضارة الغرب ؛ فبقى محافظاً
على دينه ، متمسكاً بقواعد السلوك التى
رسمها الدين الحنيف .

وعاد الشيخ تاج من البعثة ليستأنف
التدريس في كلية الشريعة ، وليعمل في نفس
الوقت أميناً فنياً للجنة الفتوى ، وعضواً حنفياً
بها ، ثم تقلب في مناصب الأزهر ، فكان
مفتشاً في معاهده ، وعميداً لمعهد الزقازيق ،
ثم شيخاً لمعهد البحوث الإسلامية . وهو أثناء
ذلك كله لم يقنع بما بلغه من علم وما وصل إليه
من منصب فبقى دعواً على البحث ، متطلعاً إلى
الاستزادة من المعرفة ، فألف رسالة عن
« السياسية الشرعية والفقہ الإسلامى » نال بها
عضوية جماعة كبار العلماء في سنة ١٩٥١

وهي أكبر ما يصبو إليه شيخ من شيوخ الأزهر، وكانت جامعة عين شمس قد افتتحت في العام السابق وبها كلية للحقوق فوقع اختيارها على الدكتور عبدالرحمن تاج ليكون أستاذاً للشريعة الإسلامية فيها ، مع بقاء صلاته بالأزهر عضواً في لجنة الفتوى وعضواً في جماعة كبار العلماء وأكبر فيه زملاؤه من أساتذة الجامعة غزارة العلم وسماحة النفس وتواضع العلماء . وعرفت الدولة له فضله فعينه في سنة ١٩٥٤ شيخاً للأزهر ، فبقي في هذا المنصب الخطير حتى عين وزيراً في اتحاد الدول العربية منذ قيامه في سنة ١٩٥٨ حتى إلغائه في سنة ١٩٦١

واختير الشيخ تاج عضواً بمجمع اللغة العربية سنة ١٩٦٣ ، وندب المجمع لاستقباله علماً من أعلامه هو المغفور له الأستاذ علي عبدالرازق؛ فأشار إلى مواهب الشيخ التي مكنته من أن يجمع بين الثقافتين الشرقية والغربية ، وأن يزاوج بين الأدبين العربي والأعجمي وأن ينطق باللغتين العربية والفرنسية ، وكيف قضى شطراً من حياته مهاجراً يجوب البلاد في طلب العلم . « ولا شيء أبلغ في تزكية النفس ، وتصفية الذهن ، وتقوية العقل من الهجرة خالصة لله في سبيل العلم » .

ثم أشار إلى أن الشيخ « قد حصل من الرتب العلمية والدرجات مارفعه إلى مستوى لا مطمع لكثير من الناس أن يصلوا إليه ، ولكنه هو نفسه قد استطاع أن يبلغه وأن

ينال من الفضل مقاماً فوق ذلك مظهراً ، وأرفع قدراً . وذلكم هو مقام العلم الناصع النافع والقلب الطاهر السليم ، والنفس الطيبة التي صاغت من صاحبها شخصية قوية لا تتمايل مع الرياح ، ولا تلعب بها الشهوات .

وتجلت غيرة الشيخ تاج على الدين الحنيف ، وعلى لغة القرآن الكريم ، في الخطاب البليغ الذي ألقاه في حفل استقباله ، فدحض مزاعم المستشرقين الذين تصدوا لترجمة القرآن الحكيم . وفند أقوال أبناء العربية العاقين الذين يكيدون للعروبة والإسلام بدعوتهم إلى التخلص من الإعراب ، أو استبدال العامية بالفصحى .

ويخاطب رجال المجمع الموقر بقوله : « إن مهمتكم بإزاء اللغة العربية عظيمة وأنتم خير أهل للاضطلاع بها ، والوفاء بموجبها ، فلا تضنوا في هذا السبيل بشيء من جهودكم ابدلوا هذه الجهود القوية الأمينة ، لحفظ هذه اللغة ، وحراسة مقدساتها وصيانتها من عبث العابثين ، ولعب الماجنين ، وانحرافات المهوورين ولكم التوفيق من الله الحكيم العليم » .

والتزم الشيخ في المجمع بما دعا إليه : فشارك في عمله مشاركة فعالة، وذخرت مجلة المجمع ببحوثه القيمة عن القرآن ، ودراساته العميقة في اللغة ؛ فكان من الأولى ببحوثه :

* درء مظاهر من الجرأة في تفسير الكتاب العزيز (ج ٢٤) .

رحم الله سلفي العظيم ، وأكرم مشواه ،
وأنزله منازل الشهداء والصديقين ، وحسن
أولئك رفيقا .

أساتذتي الأجلاء

لست أريد أن أطيل الحديث عن الفضل
الذي طوقتم به عنقي ، فسبقت ما كنت أطمع
فيه ، فأنتم معشر العلماء أزهدهم الناس في مدح .
ولكني أسأل الله العلي القدير أن يجعلني أهلاً
لثقة التي أوليتموني ، وأن يهني القدرة علي
القيام بحظ معكم في خدمة العلم واللغة :

أما الصديق الكريم الأستاذ الدكتور
محمد يوسف حسن الذي نظر إلي بعين الرضا
وهي عن كل عيب كليله ، فأسبغ علي من
جميل أدبه ما أملتته سجيته الطيبة ، وأخوته
الكريمة ، فله شكري الصادق ، ودعواتي
الخالصة بأن يجعله الله دائماً سباقاً إلى الخير
والعمل الصالح .

والسلام عليكم ورحمة الله ما

محمد محمود الصياد
عضو المجمع

* اللؤلؤ والمرجان ، ومن أي البحار
يستخرجان (ج ٢٧) .

* الطير الأبايل ، في واقعة الفيل (ج ٢٩) .

* حروف الزيادة ، وجواز وقوعها في

القرآن الكريم . (ج ٣٠) .

* من الدراسات اللغوية ، في بعض
الآيات القرآنية (ج ٣٣) .

* الآيات التسع البيئات (ج ٣٤) .

وكان من الأخرى بحوثه :

* تفصيل القول في تتابع الأعلام بتسكين

أو آخرها وحذف كلمة (ابن) من بينها
في مثل « سافر محمد علي حسن » (ج ٢٠)

* القول في (غير) وحكم إضافتها إلى

المعرفة وجواز دخول (ال) عليها . (ج ٢٥)

* أكثر من واحد (ج ٢٨)

* القول في الباء التي تزداد في فصيح

الكلام ، وقد وقعت زائدة في القرآن الكريم .

والشيخ في بحوثه هذه وتلك ، عالم ثبت ،

وفقيه متمكن ، يحص القول ، ويقلب الأمر

على وجوهه ؛ حتى يخرج منه بالرأي الفصل :

● كلمة الختام للدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع :

خدمة للفصحى ، وأملا في الوصول بها إلى
حيث ينبغي أن تكون .

ولا يفوتني في الختام أن أتقدم بخالص
الشكر لكل الذين حضروا إلى هذا
المكان ، وشاركوا في هذا الحفل ، وشكرا
لكم ، ورفعت الجلسة .

سيداتي ، سادتي

مرة أخرى أكرر التهنئة الخالصة للزميلين
الكريمين ، متمنياً لهما عهداً جمعياً خصيباً مثمراً
بإذن الله ، فالحق أننا نعول عليهما كل التعويل
فيما يقومان به من عمل ، وفيما يقدمان من عون